سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ رَاحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الثانية [6 – 10]

تأليف د. أحمد خضر حسنين الحسن

الرسالة الثامنة

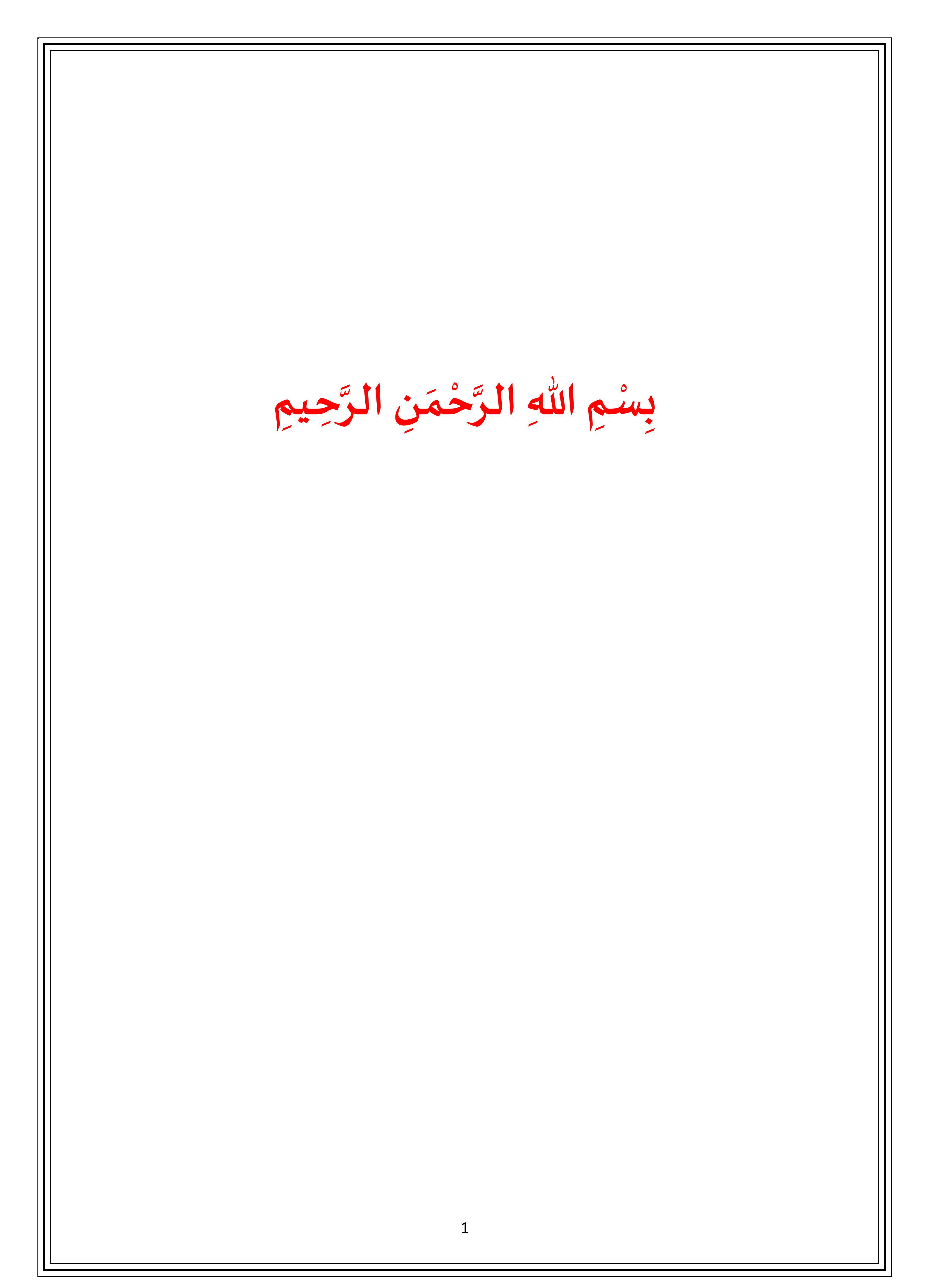
القَــولُ الفَصِــــيحِ
في التَّقَرُّبِ إلى اللَّـهِ بالتَّسْبِيحِ

حَقِيقَتُه وفَضَائِلُه وَفَوَائِدُه وَرُوحَانِيّاتُه والأوقاتُ والمواطنُ التي يُستَحبُّ فيها
وقَصَصٌ و اقعيةٌ في أثر الإكثارِ منه في تَفريجِ الهُمومِ

تأليف

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كلُّ شيء، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كلُّ شيء،الحمد لله الذي ذلَّ لعزَّته كلُّ شيء، الحمد لله الذي خضع لملكه كلُّ شيء .

(سبحان اللهِ عدَدَ ما خلق ،سبحان اللهِ مِلْءَ ما خلَق ، سبحان اللهِ عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ سبحان اللهِ مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، سبحان اللهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ مِلْءَ ما أحصى كتابُه ، سبحان اللهِ عددَ كلِّ شيءٍ ، سبحانَ اللهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ ، الحمدُ للهِ عددَ ما خلق ، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق ، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ ،والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ ، والحمدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ لله مِلْءَ ما أحصى كتابُه ،والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ،والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ) [1].

والصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد سيد الْأَوَّلين والآخرين وصفوة الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ وقائد الغر المحجلين وعَلى آله السَّادة الأكرمين وَأَصْحَابه الغر الميامين وَمن اتبعهم بِإِحْسَان إِلَى يَوْم الدّين [2] .

وبعد : فهذه هي الرسالة الثامنة من سِلْسِلَةِ رَسَائِلِ راحَةِ الأَرْوَاحِ وهي بعنوان :

القَوْلُ الفَصِيحِ في التَّقَرُّبِ إلى اللَّهِ بالتَّسْبِيح

وهي على وجازتها قد حرصت فيها على بيان حَقِيقَة التسبيح ومَنْ هم المسبحون الله تعالى كما ورد ذكرهم في الكتاب والسنة كما ذكرت فضائله وَمَواطِنه وَفَوَائِده اعتمادا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة وما استنبطه العلماء من تلك النصوص مما له علاقة بتدبر العقول وتفهيمها أو تزكية النفوس وتهذيبها ، وختمت ببعض القصص التي نال أصحابها الفرج بعد الكرب بسبب التسبيح .

هذا واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفعني بهذه الرسالة وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم وأن تكون سبباً في مغفرة ذنبي ورفع درجتي في الجنة وأن يفعل ذلك بالقارئ الكريم والقارئة الكريمة .

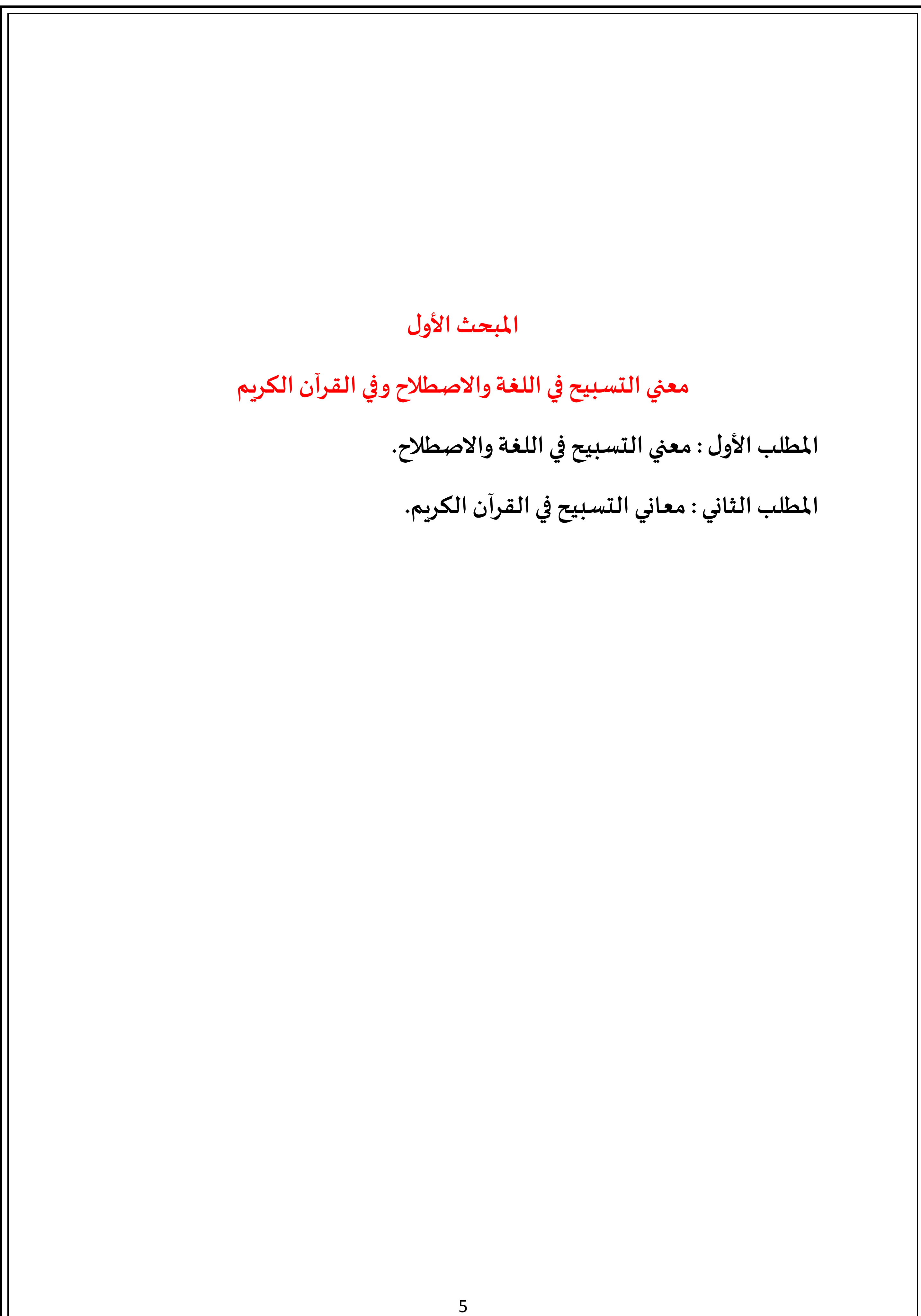
راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

18/ جمادى الآخرة / 1442 الموافق 31/ يناير/ 2012

1- صحيح الترغيب والترهيب .

2- السهيلي - مقدمة كتابه الروض الأنف .



المبحث الأول

معني التسبيح في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم

المطلب الأول : معني التسبيح في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : معاني التسبيح في القرآن الكريم.

المطلب الأول

معنى التسبيح في اللغة والاصطلاح

أولاً: حقيقة التسبيح في اللغة[3]:

التسبيح لغة : مأخوذ من سَبَحَ بالنَّهْرِ وفيه كمَنَع ، يَسْبَح سَبْحاً وسِباحَةً بالكسر : عَامَ في البحر، وفرَّقَ الزَّمَخْشَرِيّ بين العَوْمِ والسِّبَاحَةِ فقال : العَوْمُ : الجَرْيُ في الماءِ مع الانغماسِ والسِّباحَةُ : الجرْيُ فَوْقَه من غير انغماسٍ . قلت : وظاهرُ كلامِهم التَّرادُف . وجاءَ في المَثَل : " خِفَّ تَعُمْ " .

والسَّبْحُ : الفَراغُ . وقوله تعالى : **(إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً)** إنما يعني به فَراغاً طويلاً وتَصرُّفاً . وقال الفَرَّاءُ : يقول : لك في النَّهَار ما تَقْضِي حوائجَك .

والسَّبْحُ : الحَفْرُ . يقال : سَبَحَ اليَرْبوعُ في الأَرْضِ إذا حَفَرَ فيها . والسَّبْح أَيضاً : السُّكُون .

والسَّبْح : الإِكْثَارُ من الكَلامِ . مصدر سبَّح، وعرَّفه الأزهري بأنه: تنزيه الله سبحانه وتعالى من السوء، وتبعيدُه منه، من قولك: سبَحتُ في الأرض: إذا أبعدتَ فيها، ومنه قوله عز وجل : **(وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)** [يس: 40] [4] . **والتسبيح** : الجريان، من الآية (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) الأنبياء:33 أي يَجْرُونَ.

***   ****   ***

التسبيح في اصطلاح الشرع[5]:

فقد عُرِّف بتعاريف عديدة؛ وأجمع تعريف له أنَّه: **تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عمَّا لا يليق بجنابه** [6].

3- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي – مادة سبح .

4- تهذيب اللغة – للأزهري - مادة (سَبَحَ) .

5- مقال: تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم - حمزة عبدالله سعادة شواهنة – مجلة البيان العدد 388 – ومقال التسبيح القرآني - للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – الألوكة الشرعية.

6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – للعلامة أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى - (8/ 203).

وقد ورد التسبيح بمعنى تنزيه الله عز وجل عن كلِّ سُوء، سواء في القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة أو آثار السلف الصالح، من ذلك قوله - سبحانه وتعالى -: (**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) [المؤمنون: 91].

عن ابن عباس رضي الله عنهما : " سبحان الله " : **تنزيه الله عزوجل عن كل سوء** .

وعن يزيد بن الأصم قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : **لا إله إلا الله نعرفها** : لا إله غيره ، **والحمد لله نعرفها** : أن النعم كلها منه ، وهو المحمود عليها ، **والله أكبر نعرفها** : لا شي أكبر منه ، فما **سبحان الله** ؟ قال : كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه ، وأمر بها ملائكته ، وفزع لها الأخيار من خلقه . [7]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له؛ فإن التسبيح يقتضي التنزيه والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده.[8]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : ويراد بالتسبيح جنس ذكر الله تعالى، يقال: فلان يُسبِّح، إذا كان يذكر الله. ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سُمِّيت "السبَّاحة" للإصبع التي يشير بها، وإن كان يشير بها في التوحيد.[9]

قال تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) الإسراء(44) **وأورد ابن الجوزي في (زاد المسير) ثلاثة آراء في تسبيح الجماد:**

أحدها : أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله . **والثاني :** أنه خضوعه وخشوعه لله. **والثالث :** دلالته على صانعه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا اللفظ (التسبيح) بمعناه الشرعي لا يصلح إلا لله تعالى ولا يصح إطلاقه على غيره؛ إذ إن من صفاته عزوجل "سبوح قدوس" كما جاءت به السنة المطهرة .

***　　****　　***

7- موقع الإسلام سؤال وجواب – إشراف الشيخ محمد صالح المنجد .

8- الفتاوى: 125/16

9- جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق محمد عزير شمس – (292/3) .

المطلب الثاني

معاني التسبيح في القرآن الكريم

لقد جاء التسبيح في القرآن بمختلف تصاريفه وصيغه في اثنين وتسعين موضعا، -كما سنورد بعضها في المبحث التالي - **و افتُتحت به سبع سور سميت (المسبحات) وهي: الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى،وزاد بعضهم سورة ثامنة، وهي سورة النحل (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، وختمت به أربع سوروهي : الحِجروالطور والو اقعة والحاقة.**

والفعل «سبح» قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: 42]، وقد يتعدى باللام كقوله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ [الحشر:1]، وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له، وشكره وشكر له[10] .

ومن تصاريف التسبيح فعل الماضي (سبح) وفعل المضارع (يسبح) قال بعض أهل العلم: إنما عبر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله هو شأن أهل السماوات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل [11].

*** **** ***

التسبيح اعتقاد وقول وعمل: ودليل ذلك أن الصلاة تسمى تسبيحا، وهي تشمل اعتقاد القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح، **قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى وَ إِنِّي لَأُسَبِّحُهَا)**. [رواه البخاري: 1177] [12].

10- أضواء البيان: 540/7

11- السابق .

12- والمراد بسبحة الضحى : صلاة الضحى .وقول عائشة رضي الله عنها :(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى وَ إِنِّي لَأُسَبِّحُهَا) لا ينفي سنية الضحى بدليل أنها تصلها ومن الأدلة أيضا حديث أَبِي ذَرٍّرضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى) رواه مسلم (1181) .قال النووي رحمه الله : " وَفِيهِ دَلِيل عَلَى عِظَم فَضْل الضُّحَى وَكَبِير مَوْقِعهَا , وَأَنَّهَا تَصِحُّ رَكْعَتَيْنِ "انتهى من "شرح مسلم للنووي" .وقول عائشة أيضا لا ينفي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها بدليل حديث أم هانئ المذكور.

وقالت أم هانئ رضي الله عنها: (قَامَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى غُسْلِهِ، فَسَتَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ثُمَّ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَالْتَحَفَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى) [رواه مسلم: 336]. **إطلاق التسبيح في القرآن** : **يطلق التسبيح في القرآن الكريم ويراد به ستة أشياء:**

الأول : يطلق على التنزيه مع التعظيم، وهو أكثر ما ورد في القرآن، وهو المراد عند الإطلاق، ومنه قول الله تعالى ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّفات: 159].

الثاني : يطلق على الصلاة : قال الله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: 130]. يفسرها قول النبي عليه الصلاة والسلام «...إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قرأ : «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» [رواه البخاري: 573، ومسلم: 633] وفي رواية مسلم أن قارئها راوي الحديث جرير بن عبدالله الصحابي رضي الله عنه.

الثالث : يطلق على الدعاء، ومنه قول الله تعالى ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ ﴾ [يونس: 10] ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87].

يفسره قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ) .[رواه الترمذي: 3505].

الرابع : يطلق على عموم الذكر، ومنه قول الملائكة عليهم السلام ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة: 30] .

قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني: إنا نعظمك بالحمد لك والشكر، وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة. يقول الرجل منهم: قضيت سبحتي من الذكر والصلاة. وقيل: إن التسبيح صلاة الملائكة.

*** **** ***

الخامس : يطلق التسبيح على عموم العبادة، ومنه قول الله تعالى ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصَّفات: 143-144] عن وهب بن منبه في معنى مِنَ الْمُسَبِّحِينَ قال : من العابدين [13].

السادس : يطلق التسبيح على الاستثناء، ومنه قول الله تعالى ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: 17-18] .

والمراد به قول : إن شاء الله، لكن دلت الآيات على أنهم كانوا يسبحون مكانها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28] .

قال السدي رحمه الله تعالى : كان استثناؤهم في ذلك الزمان التسبيح فيقولون: سبحان الله، بدل: إن شاء الله، فقوله لولا تسبحون، أي: تستثنون .[14]

وفي القرآن الكريم تسبيح لله تعالى كثير؛ ليرتاض لسان قاري القرآن على تسبيحه تعالى، مواطئا قلبه لسانه في تعظيمه وإجلاله.

وتسبيح الله تعالى جاء في القرآن في سياقات عظيمة، ينبغي لقارئ القرآن أن يفطن لها ويتأملها؛ لينزه الله تعالى ويعظمه ويثني عليه بما هو أهله.

فائدة [15]:

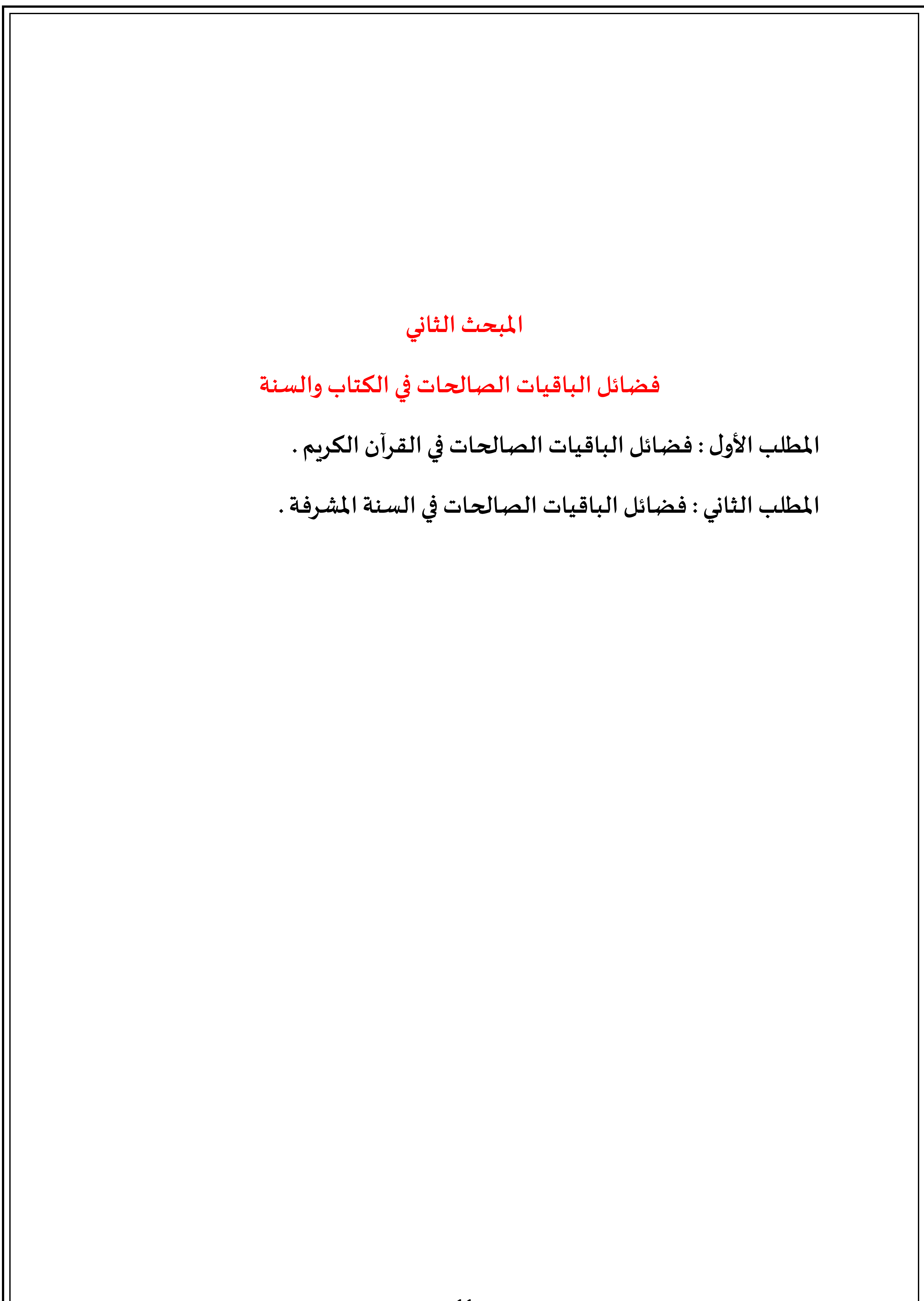
قال بعض أهل العلم : والتسبيح ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجها، ستة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصة، وستة لجميع الموجودات.

*** **** ***

13- تفسير عبدالرزاق _(103/2) .

14- تفسير ابن أبي حاتم –(2366/10) .

15- بصائر ذوي التمييز- للفيروزابادي (285/2 وما بعدها) .



المبحث الثاني

فضائل الباقيات الصالحات في الكتاب والسنة

المطلب الأول : فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة .

لما كانت كلمة سبحان الله إحدى الباقيات الخمس كان لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى فضائلها من خلال النصوص الواردة في الكتاب والسنة ثم نتعرض فيما بعد إلى فضائل التسبيح على وجه الخصوص [16] .

المطلب الأول

فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم

وردت فضائل الباقيات الصالحات في القرآن في موضعين :

الاول قوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) سورة الكهف (46) ،

قال جمهور المفسرين : هي الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [17] .

وروى ابن جرير الطبري عن عمارة بن صياد قال: (سألني سعيد بن المسيب رحمه الله عن الباقيات الصالحات ، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

و أثر ابن المسيب هذا يوهم أن الباقيات الصالحات محصورة في هؤلاء الكلمات الخمس، والذي عليه المحققون من أهل العلم أن الباقيات الصالحات هن جميع أعمال الخير، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (والباقيات الصالحات) قال: (هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج

16- ذكرت فضائل الباقيات الصالحات بشئ من التوسع مع شرح كثير مما جاء فيها من نصوص في الرسالة الرابعة من هذه السلسلة وهي بعنوان : تَشْـوِيقُ القُلُـوبِ إِلَى ذِكْرِعَلَّامِ الغُيـوبِ .

17- كذا قال القرطبي و انظر تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير ونَسب هذا القول إلى عطاء ومجاهد ، وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: و أقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف. منهم ابن عباس، وسعيد ابن جبير، و أبو ميسرة، وعمرو بن شرحبيل. أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعلى هذا القول جمهور العلماء.

والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض) [18].

الثاني قوله تعالى : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) سورة مريم(76) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات-والله أعلم- أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

***   ****   ***

ولنعلم مكانة الباقيات الصالحات تعالوا بنا نستمتع بهذا الكلام الرائع لحجة الإسلام الغزالي -رحمه الله- في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف [19] ، فقال : روي أن من قال : سبحان الله حصل له من الثواب عشر مرات ، فإذا قال : والحمد لله صارت عشرين ، فإذا قال : ولا إله إلا الله صارت ثلاثين ، فإذا قال : والله أكبر صارت أربعين .

قال : وتحقيق القول فيه : أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته ، فإذا قال : سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن كل ما لا ينبغي ، فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة .

فإذا قال مع ذلك : والحمد لله فقد أقرَّ بأن الحق سبحانه مع كونه منزَّها عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لإفادة كل ما ينبغي ولإفاضة كل خير وكمال ، فقد تضاعفت درجات المعرفة ، فلا جرم قلنا : تضاعف الثواب .

18- رسالة الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية – للدكتور البدر – ص (69) نسخة إلكترونية في المكتبة الشاملة الحديثة .

19- نقلا عن تفسير الرازي . ولم أجد حديثا فيه الفضل المذكور ولكن وجدت حديثا آخر يقرب منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال سبحان الله، كُتبت له عشرون حسنة وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر، فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله، فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين مِن قِبَل نفسه كُتبت له ثلاثون حسنة وحُطّت عنه ثلاثون سيئة) . قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد و ابن أبي الدنيا والنسائي واللفظ له، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم. والحديث صححه الألباني.

فإذا قال مع ذلك : لا إله إلا الله ، فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لكل ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا إلا الواحد ، فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة ، فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة .

فإذا قال : والله أكبر معناه أنه أكبر وأعظم من أن يصل العقل إلى كنه كبريائه وجلاله ، فقد صارت مراتب المعرفة أربعة ، لا جرم صارت درجات الثواب أربعة .

فائدة : حول علاقة التسبيح بالتحميد [20] :

هؤلاء الكلمات كما أوضح أهل العلم شطران، فالتسبيح قرين التحميد، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). أخرجاه في الصحيحين .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم فيما: (أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده) رواه مسلم.

وفي القرآن يقول الله تعالى حكاية عن الملائكة : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) سورة البقرة (30)،

وقال: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) سورة النصر (3)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي)، يتأول القرآن .كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث المتفق عليه.

فجعل قوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) تأويلا للآية الكريمة :(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) سورة النصر (3) ، وقد قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة غافر (55)، وقال: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) سورة الروم، (17، 18) والآثار في اقترانهما كثيرة.

ومعني (وبحمده)؛ أي: بكونه محمودًا، كما قد قيل في قول القائل: "سبحان الله وبحمده"، قيل: سبحان الله، ومع حمده أسبِّحه، أو أسبِّحه بحمدي له، وقيل: سبحان الله وبحمده سبَّحناه؛ أي: هو المحمود على ذلك، كما تقول: فعلتُ هذا بحمد الله، وصلينا بحمد الله؛ أي: بفضله

20- مقال : التسبيح بحمد الله -د. نايف بن أحمد الحمد - شبكة الألوكة. وخاتمة رسالة دراسات في الباقيات الصالحات - للدكتورعبد الرزاق البدر- بتصرف .

وإحسانه الذي يَستحقُّ الحمدَ عليه، وهو يرجع إلى الأول، كأنه قال: بحمدِنا الله، فإنه المستحق لأن نحمده على ذلك" [21].

(وبحمده) قيل: الواو للحال، والتقدير: أُسبِّح الله متلبسًا بحمدي له، من أجل توفيقه، وقيل: عاطفة، والتقدير: أُسبِّح الله، و أتلبَّس بحمده، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم، والتقدير: و أثني عليه بحمده، فتكون (سبحان الله) جملة مستقلة، (وبحمده) جملة أخرى" [22].

وقُرن الحمد بالتسبيح؛ لأن "التسبيح يتضمَّن نفي النقائص والعيوب، والتحميد يتضمَّن إثبات صفات الكمال التي يُحمَد عليها" [23] .

و"سبحان الله وبحمده فيها الشكر والتنزيه والتعظيم" [24]، وفي قوله: "سبحان الله وبحمده" إثبات تنزيهه وتعظيمه وإلهيته وحمده" [25]، كما أن "في هذه الكلمات من المعرفة بالله، والثناء عليه بالتنزيه والتعظيم مع اقترانه بالحمد المتضمن لثلاثة أصول: أحدها: إثبات صفات الكمال له سبحانه، والثناء عليه، الثاني: محبته والرضا به، الثالث: فإذا انضاف هذا الحمد إلى التسبيح والتنزيه على أكمل الوجوه وأعظمها قدرًا و أكثرها عددًا وأجزلها وَصْفًا، واستحضر العبد ذلك عند التسبيح، وقام بقلبه معناه: كان له من المزية والفضل ما ليس لغيره" [26].

*** **** ***

21- جامع المسائل؛ لابن تيمية، المجموعة الثالثة/ 290.

22- فتح الباري 13/ 541، وتحفة الأحوذي 9/ 306، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري؛ للغنيمان 2/ 701.

23- جامع المسائل، والمجموعة الثالثة/ 278، والعواصم والقواصم 9/ 148.

24- مجموع فتاوى ابن تيمية 8/ 212.

25- لفتاوى الكبرى 5/ 229.

26 المنار المنيف في الحديث الضعيف – لابن القيم – ص(38) .

المطلب الثاني

فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة

1/ الباقيات الصالحات جُنَّة من النار: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(خُذوا جنَّتكم) قُلْنا : يا رسولَ اللهِ مِن عدوٍّ حضَر؟ فقال : (خُذوا جنَّتكم مِنَ النَّارِ، قولوا سبحانَ اللهِ ، و الحمدُ للهِ ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ ، واللهُ أكبرُ ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) [27] .

قوله صلى الله عليه وسلم (فإنَّهُنَّ)، أي: فإنَّ هذه الكَلِماتِ، (يَأْتينَ يومَ القِيامَةِ مُقدِّماتٍ) أي: يَتقدَّمْنَ صاحِبَها يومَ القِيامةِ، (ومُعَقِّباتٍ)، أي: هُنَّ كَلِماتٌ يَأْتي بعْضُها عقِبَ بعْضٍ، (ومُجَنِّباتٍ)، أي: هي التي تكونُ في المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، فكأنَّهن جَيْشٌ من جِهَةِ قائِلِهِنَّ تَسْتُرْنَهُ عن النارِ. وقوله صلى الله عليه وسلم (وهُنَّ الباقياتُ الصَّالِحاتُ)، أي: باقياتٌ لصاحِبِها وصالحاتٌ لجَزيلِ ثَوابِها في المعادِ وحينَ الحاجَةِ .

2/ الباقيات الصالحات تغرس لقائلها غرساً في الجنة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قلت غراسا لي قال : (ألَا أدُلُّكَ على غِراسٍ ، هو خيرٌ مِنْ هذا ؟) قال : بلى يا رسول الله قال : (تقولُ : سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ ، واللهُ أكبرُ ، يُغْرَسُ لكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ منها شجرةٌ في الجنةِ) [28].

و هذه رسالة الخليل ابراهيم عليه السلام لنا معاشر أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، فعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا محمَّدُ ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ) [29].

27- رواه النسائي واللفظ له والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (3214).

28- رواه ابن ماجه و صححه الشيخ الألباني وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

29- رواه الترمذي و حسنه الشيخ الألباني ،ورواه الطبراني وزاد فيه : (ولا حول ولا قوة إلا بالله). قوله صلى الله عليه وسلم : "وأخبِرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبةُ الماءِ"، أي: و أبلِغْهم أيضًا أنَّ الجنَّةَ تُربتُها طيِّبةٌ وماؤُها عَذبٌ، "وأنَّها قِيعانٌ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ تُربةَ الجنَّةِ قِيعانٌ، جمعُ قاعٍ، أي: أرضٌ مُستويةٌ مُتساويَةٌ، "وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ الَّذي يُغرَسُ به في تُربةِ الجنَّةِ التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّهليلُ والتَّكبيرُ، وهذا مِثلُ قولِه صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن قال: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمدِه، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّةِ"؛ فالإكثارُ من ذكرِ اللهِ عزَّوجلَّ مِن أجَلِّ الطَّاعاتِ، ومِن أوسَعِ أبوابِ إكثارِ الحَسَناتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، وسَببٌ في دُخولِ الجَنَّاتِ.(الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

3/ الباقيات الصالحات سبب لزيادة للحسنات :

عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنَّ اللهَ اصطفى مِنَ الكلامِ أربعًا : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فمَن قال : سبحانَ اللهِ كُتِبَ له عشرون حسنةً وحُطَّتْ عنه عشرون سيِّئةً ومَن قال اللهُ أكبَرُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال لا إلهَ إلَّا اللهُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ مِن قِبَلِ نفسِه كُتِبَتْ له ثلاثون حسنةً وحُطَّتْ عنه ثلاثون سيِّئةً) [30].

*** *** ***

4/ الباقيات الصالحات سبب لحط الخطايا : عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها) [31] .

وفي رواية للترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصا فتناثر ورقها فقال : (إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة) .وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : (ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) رواه أحمد وغيره . فزاد في هذه الرواية (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

5/ الباقيات الصالحات هي الأثقل في الميزان : عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بخ بخ وأشار بيده (لخمس ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه) [32].

*** **** ***

30- رواه أحمد وصححه محقق المسند العلامة أحمد شاكر – (227/15).

31- رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

32- رواه النسائي و ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم .

6/ الباقيات الصالحات أحب الكلام إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم .

قال بعض العلماء : المراد بقوله (ما طلعت عليه الشمس) منذ أن خلقها الله تعالى ، ونقول انظر إلى ما طلعت عليه الشمس في يومك هذا من البنوك والسيارات والمزارع والمصانع .. إلخ فهل يستطيع أحد أن يحصي ذلك ؟ فالباقيات الصالحات خير من ذلك لأنها باقية وما عداها كله إلى زوال .

7/ الباقيات الصالحات تعدل عتق الرقاب والجهاد في سبيل الله بالجياد من الخيل والجمال:
عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني قد كبرت وضعفت ، أوكما قالت ، فمُرني بعمل أعمله و أنا جالسة . قال : (سبِّحي اللهَ مائةَ تسبيحةٍ فإنها تعدلُ لك مائةَ رقبةٍ تعتقينها من ولدِ إسماعيلَ واحمدي اللهَ مائةَ تحميدةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ فرسٍ مُسرجةٍ مُلجمةٍ تحملين عليها في سبيلِ اللهِ وكبري اللهَ مائةَ تكبيرةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ بدنةٍ مُقلدةٍ متقبلةٍ وهللي اللهَ مائةَ تهليلةٍ ، قال ابن خلف - الراوي عن عاصم -أحسبه قال : تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ولا يرفعُ يومئذٍ لأحدٍ عملٌ أفضلُ مما يرفعُ لكِ إلا أنْ يأتيَ بمثلِ ما أتيتِ) [33].

***   ****   ***

8/ الباقيات الصالحات يعدِلْن الإنفاق والجهاد وقيام الليل : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قسَّم بينكم أخلاقَكم، كما قسَّم بينكم أرزاقَّكم، وإنَّ الله يُعطي الدنيا مَن يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا مَن أحبَّ، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليُكثِر من قول: سبحان الله [والحمد لله] ولا إله إلا الله والله أكبر)[34] .

33- هذا الحديث حسنه جمع من أهل العلم ولا حرج في العمل به، فقد حسنه المنذري والهيثمي فقال فيه المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد حسن. اهـ وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفي الأوسط وأسانيدهم حسنة. كما حسنه الدمياطي في المتجر الرابح –(217) .

34- أخرجه الإسماعيلي في المعجم (114 / 1)، وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح، رجاله على شرط مسلم كلهم، إلا الجوهري - وهو عياش بن محمد بن عيسى أبو الفضل - وقد وثقه الخطيب في التاريخ (279/12)، وتابعه جمع عند الحاكم (33/1)؛ الصحيحة (482/6) رقم: (2714). (نقلا عن مقال : فضائل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وثمارها العظام – بكر البعداني – شبكة الألوكة الشرعية).

9/ الباقيات الصالحات تعطي صاحبها قوة بدنية لأداء الأعمال الدينية والدنيوية:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ ، فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ (عَلَى مَكَانِكُمَا) . فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ (أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْراً مِمَّا سَأَلْتُمَانِي إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاَثِين ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثَةً وَثَلاَثِين ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ) . رواه البخاري ومسلم .وفي الصحيحين قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه (مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم). قِيلَ لَهُ وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ قَالَ : (وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينِ) .

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك , كذا أفاده بن تيمية وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب والله اعلم .[35]

10/ الباقيات الصالحات يسبق قائلهن غيره بالمواظبة على بعضها بعد الصلوات : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ - أصحاب المال الكثير - مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: (أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بأمرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ به أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ)، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ). رواه الشيخان وغيرها .

*** **** ***

11/ الباقيات الصالحات تقوم مقام الصدقة بالمال : عَنْ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أَنَّ ناساً قالوا: يَا رسُولَ اللَّهِ، ذَهَب أهْلُ الدُّثُورِ بالأجُورِ، يُصلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ قال: (أَوَلَيْس قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟! إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدقةً، وكُلِّ تَكبِيرةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَحْمِيدةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدقَةً، وأمرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ،

35- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر.

ونَهْيٌ عنِ المُنْكرصدقةٌ وفي بُضْعِ أحدِكُمْ صدقةٌ) قالوا: يَا رسولَ اللَّهِ أيَأتِي أحدُنَا شَهْوَتَه، ويكُونُ لَه فِيهَا أجْر؟ قَالَ: (أرأيْتُمْ لَوْوضَعهَا في حرامٍ أَكَانَ عليهِ وِزْرٌ؟ فكذلكَ إِذَا وضَعهَا في الحلاَلِ كانَ لَهُ أجْرٌ) رواه مسلم.

12/ الباقيات الصالحات تقوم مقام شكر الله على نعمة عافية البدن :

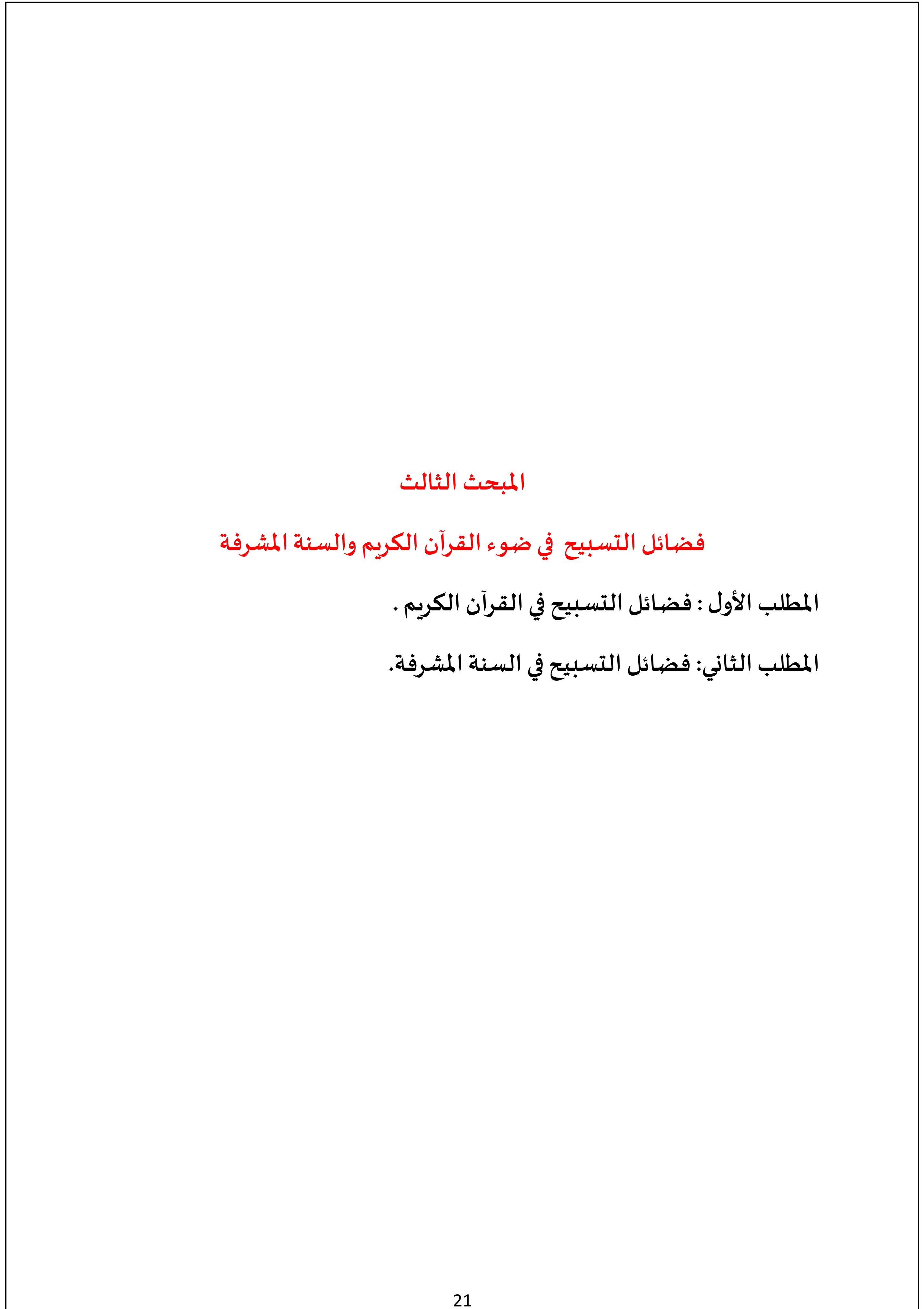
عن أَبِي هريرةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ، فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أوْ ترْفَعُ لَهُ علَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إِلَى الصَّلاَةِ صدقَةٌ، وَتُميطُ الأَذَى عَن الطرِيق صَدَقةٌ) متفق عليه.

قال ابن علان رحمه الله : قوله (كل يوم تطلع فيه الشمس) أتى به دفعاً لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكراً لسلامتها فيه .

قوله :(فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح) أي: باعد (نفسه عن النار) بالتقرّب لمولاه بأنواع الطاعات، وشكر ما أنعم به عليه من إيجاد تلك الأعضاء سالمة. ويلزم من ذلك القيام بالواجبات وترك جميع المحرمات، وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف في شكر هذه النعم وغيرها.

أما الشكر المستحبّ فبالزيادة على ذلك بنو افل العبادات القاصرة كالأذكار، والمتعدية كالبذل والإعانة، وليس المراد من الحديث حصر أنواع الصدقة بالمعنى الأعم فيما ذُكِرَ فيه بل التنبيه به على ما بقي منها، ويجمعها كل ما فيه نفع للنفس أو للغير.

*** **** ***



المبحث الثالث

فضائل التسبيح في ضوء القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول : فضائل التسبيح في القرآن الكريم .

المطلب الثاني: فضائل التسبيح في السنة المشرفة.

المطلب الأول

فضائل التسبيح في القرآن الكريم

اعلم أخي القارئ الكريم بارك الله فيك أن المتأمل في القرآن الكريم سيجده احتفى احتفاءً بالغاً ببيان فضائل التسبيح [36]، وتلك الآيات مع كثرتها فهي عميقة في معانيها وكل قارئ يفيد منها

36- تكرر ذكر التسبيح في القرآن الكريم (94) مرة ، منها قوله تعالى :

1.(قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة 32) .

2. (وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) (البقرة 116) .

3. (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران 191) .

4. (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً) (النساء 171) .

5. (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) (المائده 116) .

6. (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنعام 100) .

7. (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف 143) .

8. (وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبه 31) .

9. (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس10) .

10. (قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس 18) .

11. (قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ) (يونس 68).

12. (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل 1) .

13. (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف 108) .

14. (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ) (النحل 57) .

15. (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (الإسراء 43) .

16. (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً) (الإسراء 93) .

17. (وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) (الإسراء 108) .

18. (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (مريم 35) .

ويغترف من بحارها ويستنير بأنوارها بحسب ما أوتي من علم وذوق ، ولكن لما كان المجال لا يحتمل التوسع أحببت أن أشير إلى بعضها ، وذلك بيان الآيات التي بينت كون التسبيح عبادة عظيمة [37] :

/1 يبيّن الله تعالى أنَّ مِن حِكَم إرسال النبي محمد صلى الله عليه وسلم القيام بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه مع المؤمنين، كما في قوله سبحانه وتعالى : (**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**) [الفتح: ٨، ٩].

/2 تسبيح الله تعالى عند إثبات أنه الخالق سبحانه، و أنه لا خالق غيره، وهذا يستوجب تسبيحه شكرا له على نعمه التي أنعم بها على عباده؛ إذ كل ما خلقه وسخره للعباد فهو منه وحده لا شريك

---

19. (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء22) .

20. (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء 87) .

21. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (المؤمنون 91) .

22. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (النور16) .

23. قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (الفرقان 18).

24. (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل) .

25. (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم 40) .

26. (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص 68) .

27. (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) (الروم 17) .

28. (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (يس 36) .

29. (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس 83) .

30. (قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) (سبأ 41) .

31. (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الصافات 159) .

32. (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الصافات 180) .

37- ملخص من مقالين : التسبيح القر آني ومواطن التسبيح في القرآن كلاهما للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – الألوكة الشرعية.

له ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:36] قال تعالى : ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزُّخرف: 13].

ولما ذكر سبحانه الحرث والماء والنار في مقام إثبات قدرته، ومنته على عباده ختم ذلك بقوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74].

*** **** ***

3/ تسبيح الله تعالى عند إثبات حكمة الله تعالى في أفعاله، وتنزيهه سبحانه عن العبث قال تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران:191] وأن أفعاله لا تكون على أمزجة خلقه كما دل عليه الأمر بالتسبيح في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:93].

4/ تسبيح الله تعالى عند إثبات قدرة الله تعالى ونفي العجز عنه سبحانه، وأن قدرته فوق كل قدره، وأن العقول مهما كانت لا تحيط بقدرته ولا تدرك إلا شيئا قليلا منها قال تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:67] .

وقال تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:83].

ومن قدرته سبحانه إسراؤه سبحانه بنبيه صلى الله عليه وسلم ، وعروجه به إلى السماء في ليلة واحدة، مما لا يطيق عقلٌ تصوَّرَه ، لولا أنَّ الله تعالى أخبر به، وقصه علينا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا افتتح الحديث عن حادثة الإسراء بالتسبيح قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء:1].

*** **** ***

5/ تسبيح الله تعالى عند إثبات وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن افتراءات المشركين من زعم الصاحبة والولد والشريك له سبحانه، وهو أكثر ما جاء التسبيح فيه في القرآن الكريم؛ لأنَّ الشرك من أعظم الضلال، ومن أشنع ما وصف الله تعالى به وهو منزه عنه، فاقتضى الحال تنزيهه والثناء عليه قال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: 116] .

وقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: 171] .

وقال تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] .

وذلك أنه سبحانه وتعالى مستغن عن خلقه، فلا يحتاج إلى شريك ولا صاحبة ولا ولد، فهو ذو العزة والقوة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66] وقال تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات:180].

6/ تسبيح الله تعالى عند إثبات عدله عزوجل، وتنزيهه عن الظلم: ومنه قول يونس عليه السلام قال تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:87] فهذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب، يقول يونس عليه السلام: أنت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي.

7/ تسبيح الله تعالى عند إثبات صدق الله تعالى في قوله ووعده، وتنزيهه عن الكذب والإخلاف : **قال تعالى :** ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:1] وقال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:108].

8/ تسبيح الله تعالى عند تنزيهه سبحانه عن نسبة الشر إليه: فالخير بيديه، والشر ليس إليه قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:16] أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة.

9/ تسبيح الله تعالى عند ذكر ابتداء اليوم والليلة : لأن الشمس والقمر والليل والنهار آيات دالة على عظمته وقدرته، فاقتضى العلم بها دوام تنزيهه والثناء عليه في كل حال وأوان قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرُّوم:17].

ولا شيء أنفع للعبد، و أقل مؤنة على نفسه من ذكر الله تعالى واستغفاره وحمده وتسبيحه وتهليله؛ ولذا كان ذلك كثيرا في القرآن الكريم ؛ ليدوم قارئه على الذكر، وليتعلم الأدب مع الله تعالى .

***   ****   ***

10/ تسبيح الله تعالى في سياق إرشاد المؤمنين لتحمُّل أذى المشركين ومواجهتهم : فإن القلوب مع شدة الأذى يصيبها شيء من اليأس والإحباط والخوف والجزع، فكان تسبيح الله تعالى رابطا عليها، مثبتا لها، مقويا لعزمها، مذهبا لجزعها، مزيلا لخوفها، وفيه عزاء لأصحابها، وتذكير لهم بقدرة الله تعالى على المؤذين، وأنهم مهما بلغوا فهم من خلق الله تعالى، وتحت قدره، وأنهم لن ينالوا من المؤمنين إلا أذى، وأن العاقبة للصابرين المتقين.

قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر: 97- 98] وقال تعالى : ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾ [طه: 130] وقال تعالى : ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ [الطور: 48- 49].

ومن علم أنه بعين الله تعالى وحفظه وتسديده وتوفيقه كثر تسبيحه لله تعالى وتنزيهه والثناء عليه، فأذهب عنه خوفه وجزعه ويأسه وقنوطه .

11/ تسبيح الله تعالى عند ذكر الفصل بين العباد يوم القيامة : لبيان حكمة الله تعالى في خلقه حين خلقهم، ولإثبات عدله في الكفار منهم، ورحمته بالمؤمنين، وكل أولئك يستوجب تعظيمه وتسبيحه، ففي آخر سورة الزمر ذكر الفصل بين العباد يوم القيامة، ومصير الكافرين، ومصير المؤمنين، وختم ذلك بقول الله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الزمر: 75].

وفي آخر الواقعة ذكر عاقبة المقربين، وعاقبة أصحاب اليمين، وعاقبة أصحاب الشمال، وختم ذلك بقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: 95-96].

*** **** ***

المطلب الثاني

فضائل التسبيح في السنة المشرفة

سبق وأن ذكرنا في المبحث السابق فضائل الباقيات الصالحات و يدخل التسبيح ضمن تلك الفضائل ، وما سأذكره هنا هو الأحاديث النبوية التي بينت الفضائل التي قد انفرد بها التسبيح دون غيره - وقد يقترن بالتحميد - فأقول ومن الله أرجو السداد والقبول :

1- التسبيح سبب في تثقيل الميزان : عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ) [رواه البخاري: 6406، ومسلم: 2694].

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [رواه مسلم: 223].

2 – أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده : عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبرُك بأحبِّ الكلامِ إلى اللهِ؟) قلتُ : يا رسولَ اللهِ! أخبرني بأحبِّ الكلامِ إلى اللهِ. فقال: (إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) [رواه مسلم: 2731].

3- بالتسبيح يُغرَس للعبد نخلة في الجنة : عن جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ) [رواه الترمذي، وقال حسن صحيح غريب: 3464، وصححه الحاكم والألباني].

***   ****   ***

4- التسبيح سبب في تضعيف الحسنات وتكفير السيئات : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: (يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْيُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ) [رواه مسلم: 2698]. وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [رواه مسلم: 223].

وتقدم في التمهيد قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) [رواه مسلم: 2695] .

5- تسبيح سماه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذكر المضاعف : عن جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: (مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟) قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) [رواه مسلم: 2726].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه؛ فإن قول المسبح: سبحان الله وبحمده عدد خلقه يتضمن إنشاء وإخبارا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان أو هو كائن إلى ما لا نهاية له [38].

*** **** ***

6- تسبيح يعدل ذكر الله ليلا ونهارا : وهو ما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: (أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ الْحَمْدُ مِثْلَ ذَلِكَ) [رواه أحمد: 22144، وصححه ابن خزيمة: 754، وابن حبان: 830].

7 – التسبيح يعدل قيام الليل والصدقة ومقاتلة العدو:

عن أبي أمام الباهلي رضي الله عنه عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (من هالَه الليلُ أن يكابدَه ، أو بخِلَ بالمالِ أن يُنفِقَه ، أو جَبُنَ عن العدوِّ أن يقاتلَه ، فلْيُكثِرْ من سبحان اللهِ وبحمدِه ؛ فإنها أحبُّ إلى اللهِ من جبلِ ذهبٍ ينفقُه في سبيلِ اللهِ عزَّوجلَّ) قال الألباني في صحيح الترغيب : صحيح لغيره – برقم (1541) .

8 – التسبيح سبب في فتح باب من ابواب الرزق : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ : آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ،آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ ، رَجَحَتْ

38- المنار المنيف – لابن القيم – ص(359) .

بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً ، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ)[39].

***   ****   ***

وقوله : (وَبِها يُرْزَقُ الخَلْقُ): أي : إنّ التّسبيح من مفاتيح الرزق على العباد، وذلك باعتبارين[40] :

الاعتبار الأول : أن التسبيح تنزيه الله أن يكون معه نظير يخلق معه الخلق أو يرزقهم ، قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) سورة الروم(40) ، **فالتسبيح شهادة من العبد أنه لا رازق إلا الله ، كما أنه لا خالق إلا هو ، ولا محيي ولا مميت إلا هو سبحانه ، وهذه الشهادة أول مفاتح الرزق .**

الاعتبار الثاني : الحمد في قوله : (سبحان الله وبحمده) ومعلوم أن الحمد والشكر يفتح أبواب الرزق ويزيد النعمة ، كما قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) سورة إبراهيم(7) .

9 - التسبيح هو ذكر الملائكة : روى مسلم في صحيحه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سُئِلَ : أيُّ الكلامِ أفضلُ ؟ قال (ما اصطفى اللهُ لملائكته أو لعبادِه: سبحان اللهِ وبحمدِه).

10- التسبيح يحط الخطايا وإن كثرت: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) متفق عليه .

11- التسبيح أفضل ما يأتي به العبد يوم القيامة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أوزاد عليه) أخرجه مسلم .

***   ****   ***

12- التسبيح فيه معنى التعظيم لله تعالى : عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بعثني العباسُ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأتيتُه مُمسيًا وهو في بيتِ خالتي ميمونةَ قال فقام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يصلي من الليلِ فلما صلَّى الركعتَين قبل الفجرِ قال : (اللهم إني أسألُكَ

39- رواه الإمام أحمد (6583) ، والحاكم (154) وصححه وو افقه الذهبي ، وكذا صححه الألباني في " الصحيحة " (134) وصححه أيضا محققو المسند .

40- موقع الإسلام سؤال وجواب .

رحمةً من عندِك تَهْدِي بها قلبي ، وتَجْمَعُ بها أمري، وتَلُمُّ بها شَعْثِي ، وتُصْلِحُ بها غائِبي، وتَرْفَعُ بها شاهِدِي ، وتُزَكِّي بها عملي ، وتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي ، وتَرُدُّ بها أُلْفَتِي ، وتَعْصِمُنِي بها من كلِّ سُوءٍ.

اللهم أَعْطِنِي إيمانًا ويقينًا ليس بعده كُفْرٌ، ورحمةً أنالُ بها شرفَ كرامتِك في الدنيا والآخرةِ .

اللهم إني أسألُكَ الفوزَ في القضاءِ،ونُزُلَ الشهداءِ ، وعَيْشَ السعداءِ ، والنصرَعلى الأعداءِ .

اللهم إني أُنْزِلُ بكَ حاجتي ، فإن قَصُرَ رَأْيِي وضَعُفَ عملي افتقرتُ إلى رحمتِك ؛ فأسألُكَ يا قاضِيَ الأمورِ، ويا شافِيَ الصدورِكما تُجِيرُبين البحورِأن تُجِيرَني من عذابِ السعيرِ، ومن دَعْوَةِ الثُّبُورِ، ومن فتنةِ القبورِ.

اللهم ما قَصُرَعنه رَأْيِي ولم تَبْلُغْه نِيَّتِي ، ولم تَبْلُغْه مسألتي من خيرٍوَعَدْتَهُ أحدًا من خَلْقِكَ أو خيرٍأنت مُعْطِيهِ أحدًا من عبادِك ؛ فإني أَرْغَبُ إليكَ فيه ، وأسألُكَ برحمتِك يا ربَّ العالمِينَ .

اللهم يا ذا الحَبْلِ الشديدِ والأمرِالرشيدِ، أسألُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ ، والجنةَ يومَ الخلودِ ،مع المُقَرَّبِينَ الشُّهودِ ، الرُّكَّعِ السجودِ ، المُوفِينَ بالعهودِ ؛ إنك رحيمٌ وَدُودٌ ، و إنك تفعلُ ما تريدُ .

اللهم اجعلْنا هادِينَ مُهْتَدِينَ، غيرَضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ ، سِلْمًا لأوليائِكَ ، وعَدُوًّا لأعدائِك ، نُحِبُّ بحبِّكَ مَن أَحَبَّك ، ونُعَادِي بعَدَاوتِكَ مَن خالفك .

اللهم هذا الدعاءُ وعليك الإجابةُ ، وهذا الجُهْدُ ، وعليك التُّكْلَانُ.

اللهم اجعل لي نورًا في قلبي ، ونورًا في قبري ، ونورًا بين يَدَيَّ ، ونورًا من خلفي ، ونورًا عن يميني ، ونورًا عن شمالي ، ونورًا من فوقي ، ونورًامن تحتي ، ونورًا في سمعي ، ونورًا في بصري ، ونورًا في شَعْرِي ، ونورًا في بَشَرِي ، ونورًا في لحمي ، ونورًا في دَمِي ، ونورًا في عِظامي ، اللهم أَعْظِمْ لي نورًا ، وأَعْطِنِي نورًا ، واجعل لي نورًا . سبحانَ الذي تَعَطَّفَ بالعِزِّوقال به ، سبحانَ الذي لَبِسَ المَجْدَ وتَكرَّمَ به ،سبحانَ الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا له ، سبحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ ، سبحانَ ذي المَجْدِ ، سبحانَ ذي الجلالِ والإكرامِ)[41].

41- أخرجه الترمذي (3419)، والبزار(5233)، و أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (209/3) . وجاء في موقع الإسلام سؤال وجواب : السؤال ما حكم هذا الوصف لله : " سبحان الذي تعطف العزّوقال به ، سبحان الذي لبس المجد وتكرم به " ؟

الجواب هذا الدعاء قطعة من حديث رواه الترمذي (3703)، و ابن خزيمة في "صحيحه" (1119)،وفيه : سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ العِزَّوَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لاَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلاَّ لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ .

والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم : (سبحانَ الذي تَعطَّفَ بالعِزّوقال به ، سبحانَ الذي لَبِسَ المَجْدَ وتكرَّمَ به ، سبحانَ الذي لا ينبغي التسبيحُ إلا له ، سبحانَ ذي الفضلِ والنِّعَمِ ، سبحانَ ذي المَجْدِ ، سبحانَ ذي الجلالِ والإكرامِ). ولكن سردته بطوله لحاجتنا إلى ما فيه من الدعاء في هذه الأيام التي كثرت فيها المصائب والفتن والمحن عافانا الله وإياك وجميع المسلمين.

شرح محل الشاهد[42] :

قوله (تَعطَّفَ الْعِزَّ) قَالَ الْجَزَرِيُّ فِي النِّهَايَةِ أَيِ التَّرَدّي بِالْعِزِّ الْعِطَافُ وَالْمِعْطَفُ الرِّدَاءُ وَقَدْ تَعَطَّفَ بِهِ وَاعْتَطَفَ وَتَعَطَّفَهُ وَاعْتَطَفَهُ وَسُمِّيَ عِطَافًا لِوُقُوعِهِ عَلَى عِطْفَيِ الرَّجُلِ وَهُمَا نَاحِيَتَا عُنُقِهِ وَالتَّعَطُّفُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مَجَازٌيُرَادُ بِهِ الِاتِّصَافُ كَأَنَّ الْعِزَّ شَمَلَهُ شُمُولَ الرِّدَاءِ).

قوله (وَقَالَ بِهِ) أَيْ أَحَبَّهُ وَاخْتَصَّهُ لِنَفْسِهِ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ يَقُولُ بِفُلَانٍ أَيْ بِمَحَبَّتِهِ واختصاصهـ وَقِيلَ مَعْنَاهُ حَكَمَ بِهِ فَإِنَّ الْقَوْلَ يُسْتَعْمَلُ مَعْنَى الْحُكْمِ.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : سُبْحَانَ منْ تَرَدَّى بالعِزّ، والعطاف: الرِدَاء. وَالْمرَاد مِنْهُ بهاء الله وجلاله وجماله. وَالْعرب تضع الرِّدَاء مَوضِع الْبَهْجَة وَالْحسن، وتضعه مَوضِع النعْمَة والبهاء. وسمّي الرِّدَاء عِطافاً لوُقُوعه على عِطْفَيِ الرجُل وهما ناحيتا عُنُقه. فَهَذَا معنى تعطّفِه العِزَّ". انتهى .

قَوْلُهُ (لَبِسَ الْمَجْدَ) أَيِ ارْتَدَى بِالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَتَكَرَّمَ بِهِ أَيْ تَفَضَّلَ وَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ أَيْ لَا يَنْبَغِي التَّنْزِيهُ الْمُطْلَقُ إِلَّا لِجَلَالِهِ تقَدَّسَ ذِي الْفَضْلِ أَيِ الزِّيَادَةِ فِي الْخَيْرِ وَالنِّعَمِ جَمْعُ نِعْمَةٍ بِمَعْنَى إِنْعَامٍ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَيِ الَّذِي يُجِلُّهُ الْمُوَحِّدُونَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ وَعَنْ أَفْعَالِهِمْ أَوِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَا أَجَلَّكَ وَمَا أَكْرَمَكَ .

***   ****   ***

وقد قال الترمذي : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه "، ونقله العراقي في "تخريج الإحياء" (3/ 778)، وقال البخاري في "التاريخ الكبير" (6/ 402): "حديث طويل منكر".وضعفه "الألباني" في "ضعيف سنن الترمذي" (445)، و"الأرناؤوط" في تعليقه على "جامع الأصول" (4/ 214). ومع ضعفه إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون معناه صحيحا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ضعف إسناد الحديث: لا يمنع أن يكون متنه ومعناه حقًّا ". انتهى من "بيان تلبيس الجهمية" (356/7). وهذا الوصف المذكور، معناه : اختصاص الله تعالى بالعز، وحكم الله تعالى على نفسه بالعزوالكبرياء ، فلا يستطيع أحدٌ أن يرد حكمه ، فالله هو العزيز الحكيم .انظر: "التحبير لإيضاح معاني التيسير- للأمير الصنعاني : (4/ 211) ، و"تحفة الأحوذي" (9/ 262).

42- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي – المباركفوري – (موقع جامع السنة وشروحها وموقع الإسلام سؤال وجواب) .

المبحث الرابع

المسبحون الله في ضوء القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول : الكون كله يسبح الله تعالى .

المحور الأول : دلالة القرآن الكريم على تسبيح الكون لله تعالى .

المحور الثاني : بعض الجمادات المسبحة لله تعالى المذكورة في القرآن والسنة .

المطلب الثاني : تسبيح الملائكة عليهم السلام لله تعالى .

المطلب الثالث : تسبيح الرسل عليهم السلام لله تعالى .

المطلب الرابع : تسبيح المؤمنين الله تعالى .

المطلب الأول

الكون كله يسبح الله تعالى

تسبيح الأشياء دليل على معرفتها بالله معرفة تجعلها تنزهه عن كل ما لا يليق بجلاله، والمعرفة التنزيهية هي الأصل للمعرفة الإثباتية.. بل إن المعرفة التنزيهية معرفة إثباتية.. فمن نزه الله عن الجهل أثبت له علما.. ومن نزل الله عن الجور أثبت له عدلا.. وهكذا، وبيان ذلك من خلال محورين:

المحور الأول : دلالة القرآن الكريم على تسبيح الكون لله تعالى :

قد أخبرت النصوص أن الكائنات تنزه الله بحسب أحوالها، وأنواعها، فلكل مخلوق تسبيحه الخاص به، والذي قد لا يفقهه غيره ممن لم يذق ذوقه، أو يمر بتجربته.[43]

ولذلك نفى الله تعالى عن أكثر الخلق إمكانية فقه هذه التسابيح التي يعج بها الكون، قال تعالى:﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ (الاسراء:44)

وعدم الفقه والتصور لا يعني في المنهج العلمي السليم إنكار ما لم يتمكن من فقهه أو تصوره، كما قال تعالى:﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الاسراء:36) ، فمن أنكر ما لم يقف على سره وحقيقته كان مقتفيا ما ليس له به علم.

ومن الأخطاء في هذا الجانب أن البعض نتيجة لاقتفاء سبيل العقل المجرد عن نور الوحي، يزعم بأن المراد بالتسبيح مجرد تسبيح الدلالة وقد أفاض العلماء والربانيون في الرد على ذلك، فهو يسلب الكون خاصية مهمة من خصائصه، ويرفع عنه جلبابا من جلابيب الجمال التي كساه الله به.

وحسبنا من الرد، ونفي الشبهة هنا أن الله أخبر عن التسبيح الخاص للأشياء بوقت دون وقت، كالعشى والاشراق، كما قال تعالى:﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْأِشْرَاقِ**﴾ (صّ:18)، فهل المراد بذلك أن دلالتها على خالقها تخص هذين الوقتين فقط؟.

*** **** ***

ثم تأمل في آية الإسراء : إن عبارة (**وَمَنْ فِيهِنَّ**) وجهت للعاقل فقط، والمقصود بها هنا الإنس والجن والملائكة، أما عبارة (**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ**) فهي تعني كل ما دون ذلك بغير استثناء، ومهما كانت طبيعته أو

43- كتاب أكوان الله - الكون العابد - نورالدين أبيولحية ومقال تسبيح الجماد بحمد رب العباد - محمد خلدون– موقع اعجاز القرآن والسنة – بتصرف ..

حجمه؛ كالكواكب والنجوم والشجر والحيوانات.. أو ما هو أصغر.. كالذرة التي يبلغ طولها خمسة أو ستة أجزاء من المليون من المليمتر.

عبارة (**بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**) فليس المراد بها لا تعرفون تسبيحهم، بل لا تفهمون تسبيحهم، لاختلاف لغاتهم عن لغاتكم أيها البشر. ومن ثم فإن عدم فقه الشيء لا يعني بالضرورة عدم معرفته، أو جهل وجوده، ومثال ذلك: كون شخص يتكلم بالانجليزية أمام شخص آخر لا يفهم هذه اللغة فيقول هذا الأخير: أنا لا أفقه هذه اللغة، ولكني أعرف أنها الإنجليزية .

نظام الخلق والوجود كلّه يتحدث عن الصفات الكمالية للخالق وعلمه وَقدرته اللامتناهية وَحكمته الوسيعة.

خاصّة وأنَّ تقدم العلوم البشرية وكشف بعض أسرار وَخفايا هَذا العالم الواسع، توضح هَذا الحمد والتسبيح العام بصورة أجلى. فاليوم مثلا ألّف علماء النبات المؤلفات العديدة عن أوراق الأشجار، وَخلايا هَذِهِ الأوراق، وَالطبقات السبع الداخلة في تكوينها، والجهاز التنفسي لها، وَطريقة التغذية وَسائر الأُمور الأُخرى التي تتصل بَهذا العالم.

***   ****   ***

لذلك، فإنَّ كل ورقة توحد الله ليلا وَنهاراً، وَينتشر صوت تسبيحها في البساتين والغابات، وَفوق الجبال وَفي الوديان، إلاَّ أنَّ الجهلاء لا يفقهون ذلك، وَيعتبرونها جامدة لا تنطق.

وإذا كانت العبادات كما قررها نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في الأركان الخمسة مقصورة على الإنسان والجن، بدليل الآية: { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } (سورة الذاريات 56)؛ فإن التسبيح بحمد الله جاء بصفة التعميم ليشمل كافة المخلوقات، سواء كانت لها روح أم لم تكن، وذلك بدليل الآية: { **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } (سورة الحديد 1)، التي وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات على هذه الصيغة في كل من: سورة الحديد والحشر والصف. كما وردت في صيغة المضارع مرتين: {**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} (سورة الجمعة 1) في افتتاحية سورتي التغابن والجمعة.

إن العارفين بقواعد اللغة العربية يعلمون أن حرف (**ما**) يستعمل لغير العاقل كقوله تعالى:{ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ** } (سورة طه 17 – 18) وذلك خلافا لحرف (مَنْ) الذي يستعمل للعاقل دون غيره كقوله تعالى: {**فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**} (سورة الملك 28).

***   ****   ***

المحور الثاني : بعض الجمادات المسبحة لله تعالى المذكورة في القرآن والسنة [44]:

1- تسبيح الجبال والطير: قال تعالى : ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ**﴾ [الأنبياء: 79] أطلع الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام على تسبيح الجبال والطير، وداود عليه السلام كان يقف موقفاً مهيباً عظيماً عجيباً حينما يسبح الله عز وجل، فكان يجاوبه كل شيء، حتى الطيور في السماء كانت تجيب وتردد خلفه، والجبال تشترك معه في هذا التسبيح، يقول تبارك وتعالى في سرد قصة داود عليه السلام: **(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)** [سبأ:10].

ولو كان تسبيحاً عادياً بمعنى أنه إذا رآها قال: سبحان الله لما اختص داود بهذا، وما الفرق بين داود وبين أي شخص آخر إذا رأى الجبال قال: سبحان الله؟ هذا إفساد لمعاني القرآن، ولذلك يقول تعالى: **(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)** [سبأ:10]، فهذا خطاب للجبال.

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [النور: 41].

وهذه الصلاة ليست بالضرورة مكونة من ركوع وسجود وتكبيرة إحرام وتشهد وتسليمتين، وإنما هو تسبيح خاص ألهمها الله عزوجل إياه.

فقوله تعالى: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) [النور:41]، يعني: أن الله علم صلاة كل شيء من هذه الكائنات وتسبيحها .

*** **** ***

2- تسبيح الرعد : قال تعالى : ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد: 13] [45].

---

44 - مقال تسبيح الجماد بحمد رب العباد - محمد خلدون– موقع اعجاز القرآن والسنة ، ومقال الكائنات والتسبيح -د. رواء محمود حسين – الألوكة ، ومقال : التسبيح القر آني - للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية - بتصرف.

45- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبلتْ يهودٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالوا : يا أبا القاسمِ إنا نَسألُك عن خمسةِ أشياءَ فإنْ أَنْبَأْتَنا بِهنَّ عرَفْنا أنك نبيٌّ واتَّبعْناكَ فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيلُ على بَنِيهِ إذ قالوا : اللهُ على ما نقولُ وكيلٌ قال : هاتوا قالوا : أخبِرْنا عن علامةِ النبيِّ قال : تنامُ عيناهُ ولا ينامُ قلبُهُ قالوا : أخبِرْنا كيفَ تُؤَنَّثُ المرأةُ وكيفَ تُذَكَّرُ قال : يَلتقي الماءانِ فإذا عَلا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ أَذْكَرَتْ وإذا عَلا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ أَنْثَتْ قالوا : أخبِرْنا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسِه قال : كان يَشتكي عِرْقَ النَّسَا فلم يَجِدْ شيئًا يُلائِمُهُ إلا أَلْبانَ كذا وكذا قال أبي : قال بعضُهم : يعني الإبلَ فحرَّمَ لُحومَها قالوا : صدقْتَ قالوا : أخبِرْنا ما هذا الرَّعدُ قال : مَلَكٌ من ملائكةِ اللهِ عزَّوجلَّ مُوكَّلٌ بالسحابِ بيدِهِ أو في يدِه مِخراقٌ من نارٍ يَزجرُ به السحابَ يَسوقُهُ حيثُ أمرَ اللهُ قالوا : فما هذا الصوتُ الذي يُسمعُ قال : صَوتُهُ قالوا : صدقْتَ إنَّما بَقِيَتْ واحدةٌ وهي التي نُبَايُعُكَ إن أخْبَرْتَنا بها فإنَّه ليس من نبيٍّ إلا له مَلَكٌ يَأتيهِ بالخبرِ فأَخْبِرْنا مَن صاحِبُكَ قال : جِبريلُ عليهِ السلامُ قالوا : جبريلُ ذاك الذي يَنزلُ

قال الشيخ محمد أبو زهرة : للمفسرين اتجاهان في هذا:

الاتجاه الأول: أنه يفسر الرعد بمن يسمعه، فالتسبيح ليس تسبيح الرعد ولكن تسبيح من يسمعه; لأنه يكون خائفا فزعا، كما يكون الفزع من كل صوت مزعج، فيجعله الخوف والفزع في حال إدراك لقوة منشئه كما تكون النفس عند رؤية أي أمر مزعج.

والاتجاه الثاني: أن الرعد ذاته يكون في حال تسبيح الله تعالى وحده; لأن هذا الصوت المزعج الرهيب المفزع يكون خاضعا لله تعالى، دالا على توحيده، وعلى كمال سلطانه، فكل شيء يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

و إني - أبو زهرة - أميل إلى الاتجاه الثاني : لأنه يتفق مع النسق القرآني، إذ إن النسق القرآني يبين خضوع الكون ومظاهره لله تعالى مسبحا بحمده، وهي تدل على الباعث على هذا التسبيح، وهو حمده على نعمة إيجاده، وكمال [46].

*** **** ***

3- تسبيح الطعام :عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: (لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)، وهذا جاء في أكثر من حديث عن الصحابة، فأحياناً يخرق الله العادة، كما أسمع داود تسبيح الجبال، فعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: (لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: وإذا ثبت هذا في جماد واحد جاز في جميع الجمادات، وهو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه. ولكن القول بأنه تسبيح دلالة بحيث من رآها يقول: سبحان خالقها، ليس هذا التأويل بالقوي، والصحيح: أن الكل يسبح؛ للأخبار الدالة على ذلك، ونصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء، فالقول به أولى.

4- تسبيح الحصى : عن أبي ذر الغفاري أن النبي صلى الله عليه وسلم: أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيحا كحنين النحل، وكذا في يد أبي كر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وهو حديث مشهور في النسائي.

بالحربِ والقتالِ والعذابِ عَدُوُّنا لو قلتَ ميكائيلَ الذي ينزِلُ بالرحمةِ والنباتِ والقَطْرِلكانْ فأنزلَ اللهُ عزَّوجلَّ : {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} إلى آخرِالآيةِ ، صححه أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد - (161/4) - حديث رقم : (4883)

46- زهرة التفاسير.

5- تسبيح الضفادع : عن عبد الله ابن عمرو قال نهى رسول الله عن قتل الضفادع، وقال: (**نقيقها تسبيح**). رواه النسائي.

6- تسبيح الدواب البر: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم فقال لهم : (**اركبوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم، في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها و أكثر ذكرا منه**) رواه أحمد.

7- تسبيح دواب البحر : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لما أراد الله تبارك وتعالى حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت ألا تَخدشنَّ له لحمًا، ولا تكسرنَّ له عظمًا فأخذه، ثم أهوى به إلى مسكنه من البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسًّا فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه وهو في بطن الحوت؛ أنَّ هذا تسبيح دواب الأرض، فسبَّح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: ربنا إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غربة، فقال تبارك وتعالى: ذلك عبدي يونس عَصاني فحبستُه في بطن الحوت في البحر، قالوا: العبد الصالح الذي كان يَصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم، فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: 145])) [47].

***   ****   ***

47- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، رواه البزار ثم قال : "وهذا الحديث لا نَعلمه يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد".

المطلب الثاني

تسبيح الملائكة عليهم السلام الله تعالى

تكرّر في الكتابِ والسنةِ ذكرُ تسبيحِ الملائكة[48]. في صورٍ متنوعة وبعبارات مختلفة منها [49]:

أولاً: تسبيحُهم على الدوام بلا انقطاع:

1 - قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) [الأعراف:206].

يعني بهم الملائكة وهذه العبوديةُ تعني قربهم من الله تعالى ورفعة منزلتهم على غيرهم من المخلوقات.

ثم وصفهم الله تعالى في هذه الاية بثلاثةِ أوصافٍ

- **أنهّم لا يستكبرون** عن عبادة الله تعالى وأنّهم يسبحونه وأنّهم يسجدون له وهذه الأوصافُ دالّةٌ على كمال عبوديتهم لله تعالى حيث قد اجتمعت لهم العبادة القلبية والقولية والبدنية.
- **التسبيحُ هو ذكرهم لله تعالى وتنزيههم إياه** عن كلِّ ما لا يليقُ بجلاله وعظمته وهو عبادة كائنةٌ بالقلب وهي اعتقادُ التنزيه وباللسان وهي قول (سبحان الله) ونحوه من الذكر، وبالجوارح، كالصلاة مثلاً.
- **السجود عبادةٌ بدنية تتضمن الخضوعَ** والذلَّ لله العلي العظيم وتقديم الجار والمجرور في قوله إيذان باختصاص سجودهم لله تعالى وحده دون غيره.

2- قال تعالى : {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ} الأنبياء (19- 20) .

فقوله هنا: **{وَمَنْ عِنْدَهُ}** يعني الملائكة، كما في الأية السابقة، وقد تضمنت هذه الآية بيان أن الملائكة زيادة على عدم استكبارهم عن عبادة الله **{وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ}** أي: لا يتعبون ولا يملون، ولهذا فهم {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ} وهذا كالبيان لقوله: {وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ} لأن من يحب أمرا، لا يتعب منه، ولا يتركه، ولا يمل منه، بل يواظب عليه ليلاً ونهاراً، لا يلحقهم كلال ولا إعياء، ولا يشغلهم التسبيحُ عن تدبير ما وكلوا به من أمور الخلق.

---

48 - وقد ذُكر بأن تسبيحهم كالنَفَس لنا لا يشغلهم عن مهماتهم كما لا يشغلنا التنفس عنها . (تفسير الطبري – (423/18)) .

49- تسبيح الملائكة لله تعالى – الحلقة الخامسة – الموقع الرسمي للدكتور علي محمد الصلابي - بتصرف .

3- قوله تعالى (فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) [فصِّلت: 38] وهذه الايةُ في معنى الآيتين السابقتين فقوله تعالى {لاَ يَسْأَمُونَ *} كقوله تعالى {لاَ يَفْتُرُونَ}.

وجميع هذه الآيات دالّةٌ على قوة الملائكة وكمال حياتهم وشدة الداعي منهم إلى تسبيح الله تعالى وملازمته فلا يلحقهم فيه فتورٌ ولا سامةٌ ولا يشغلهم عنه شاغل.

*** **** ***

ثانياً : تسبيح حملة العرش والحافين من حوله من الملائكة:

أ. قوله تعالى **{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}** غافر: 7. ذكرَ اللهُ تعالى في هذه الاية صنفينِ من ملائكتهِ المسبحين بحمده وهما الملائكة الذين يحملون العرش والملائكة الذين يطوفون حول العرش ثم أخبرَ تعالى عنهم جميعاً بثلاثةِ أمورٍ:

الأول : أنهم وهذا مدحٌ لهم بكثرة عبادتهم لله {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} وخصوصاً التسبيح والتحميد وسائر العبادات تدخلُ في تسبيح الله وتحميده لأنّها تنزيهٌ له عن كون العبد يصرفها لغيره وحمد له بل الحمدُ هو العبادةُ لله تعالى.

الثاني : أنهم أي يقرّون {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} وأنّه لا إله لهم سواه ويشهدون بذلك ولا يستكبرون عن عبادته.

الثالث : أنهم أي يستغفرون للمؤمنين من أهل {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} ممّن امنَ بالغيب وأقرّ بمثل إقرار الملائكة من توحيد الله تعالى والبراءة من كل معبود سواه، وهذا من جملةِ فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة أنّ الله تعالى قيّضَ ملائكته المقرّبين الذين لا ذنوبَ عليهم ليستغفروا لأهل الإيمان من البشر ويدعوا لهم بظهر الغيب فالمؤمنُ بإيمانه تسبّب بهذا الفضل العظيم.

ب. قال تعالى **{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** الزمر: 75.

هذه الآية ذكرت بعد ذكر أحداث يوم القيامة وما يقع فيه من القضاء بين العباد وتوفية كل نفس ما عملت وإدخال أهل الجنة وأهل النار كُلاً في المحل الذي يستحقه ويليق به فقوله تعالى **(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ)** أي في ذلك اليوم العظيم **(حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ)**أي محدقين محيطين بالعرش}يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ{أي يمجدونه، ويعظمونه، ويقدسوه، وينزهونه عن الجور، وعن كل ما لا يليق بجلاله .

ثالثاً: تمدح الملائكة بتسبيحهم لله تعالى:

أ. قال تعالى {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**} [البقرة:30] يتضمّنُ تمدحهم بتسبيحهم وتقديسهم لله تعالى.

ب. وقال تعالى حكايةً لقول الملائكة {**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصافون *وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**} الصافات(165 . 166).

وفي هذا تمدّح بوقوفهم صفوفاً في السماء لعبادة الله تعالى وبتسبيحهم الله تعالى وقد أقسمَ الله تعالى بهم في قوله سبحانه {**والصافات صَفًّا**} فأمّا الصافاتُ فإنّها الملائكةُ الصافّات لربها في السماء، وقولهم وقال ابن كثير في تفسير الآيتين أي نصطفُّ فنسبّحُ {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} ونمجدّه ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيدٌ له فقراء إليه خاضعون لديه.

رابعاً: تسبيح الملائكة لكلام الله تعالى وقضائه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنّهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رُمِيَ بنجمٍ فاستنار فقال لهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمِيَ بمثلِ هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقولُ ولِدَ الليلةَ رجلٌ عظيمٌ وماتَ رجلٌ عظيمٌ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فإنّها لا يُرْمَى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ولكنَّ ربّنا تباركَ وتعالى اسمُه إذا قضى أمراً سبّح حملةُ العرشِ ثم سبّحَ أهلُ السماءِ الذين يلونهم حتّى يبلغَ التسبيحُ أهلَ هذه السماء الدنيا ثم قال لحملة العرش:

ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبرُ بعضُ أهلِ السماوات بعضاً حتّى يبلغَ الخبرُ هذه السماء الدنيا فتخطفُ الجنُّ السمعَ فيقذفون إلى أوليائهم ويرمونَ به فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ ولكنّهم يقرفون فيه ويزيدون».

فهذا الحديثُ يبيّن أنَّ الملائكةَ يسبّحون لله تعالى إذا قضى أمراً أي إذا تكلّم بأمره الذي قضاه مما يكون وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ هذا التسبيحَ للتنزيه والتعظيم والخضوع لكلام الله تعالى وقضائه بما شاء أن يكون من الأمور فإنّه سبحانه لا يقولُ إلا الحقّ ولا يقضي إلا بالحق.

وقد جاء تأكيدُ هذا المعنى في حديثٍ اخرَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إنّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضَرَبَتْ الملائكةُ بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنّه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم، قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحقّ وهو العلي الكبير». وهذا

كلُّه يبيّن أنّ لكلامِ الله تعالى بالقضاءِ أو الوحي وقعاً عظيماً على الملائكة يخرّون لذلك سجداً لله تعالى ويسبّحون تنزيهاً وتعظيماً وخضوعاً له سبحانه.

*** **** ***

خامساً : افتتاح الملائكة في كلامها مع الله بالتسبيح:

ومن تسبيحِ الملائكةِ لله تعالى أيضاً أنّهم إذا تكلّموا معه سبحانه افتتحوا كلامهم بالتسبيح له وذلك في مقاماتٍ دلَّ عليها كتابُ الله تعالى ومن هذه المقامات:

أ . قوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هؤلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) البقرة:(31-23) .

هذا مقامُ بيّن الله تعالى فيه شرف ادمَ للملائكة بما فضّله به من علم أسماء كلِّ شيء من أصناف المخلوقات، ثم عرض تعالى تلكَ الأشياء على الملائكة قائلاً وقد علم تعالى أنّه {**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**} علمَ لهم بذلك وإنّما سألهم ليريَهم عجزهم وأنّه قد خلقَ من خلقه مَنْ هُوَ أعلم منهم بتعليمه إياه، فأجاب الملائكة قائلين أي تنزيهاً لك أن نعلمَ شيئاً إلا {**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** } علّمتنا إياه فإنّكَ أنتَ العليم بكلِّ شيءٍ من غير تعليم وأنتَ الحكيمُ في خلقك وأمرِك وفي تعليمك ما تشاء لمن تشاء، لكَ الحكمةُ العليا والعدلُ التام في ذلك.

والشاهِدُ أنهم بدأوا كلامَهم مع الله تعالى في هذا المقام بالتسبيح وهذا أدبٌ منهم وتعظيمٌ لذي الجلال والإكرام والعظمة المطلقة.

ب . قال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ *قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} سورة سبأ(40 – 41) .

وهذا تقريعٌ للمشركين يومَ القيامةِ على رؤوس الخلائق حين يحشرُهم الله تعالى جميعاً ثم يسألُ الملائكةَ الذين كان هؤلاء المشركون يتّخذونهم الهة من دون الله فيقول تعالى للملائكة (**أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**) أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم، فيجيب الملائكة متبرئين من عبادة المشركين: (**قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ**) افتتحوا جوابهم بالتسبيح لله تعالى، أي : تنزيها لك أن يكون معك شريك في العبادة، فنحن عبيدك، مفتقرون إلى ولايتك، فلا نتخذ وليا من دونك، ونبرأُ إليك من هؤلاء المشركين.

وهذا يعني أنّ الملائكة لم يأمروهم بذلك وحاشاهم وإنّما أمرَهمُ بذلك الشياطينُ من الجن، ولهذا قالوا (**بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**).

*** **** ***

سادساً : حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى:

وممّا يبيّن حالَ الملائكة في تسبيحهم لله تعالى قوله عز وجل {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} الشورى: (5).

ومعنى (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) أي : قاربتِ السماواتُ على عِظَمِها وكونها جماداً أن يتشققن ويتصدّعن، ومعنى }فوقهن{ أي: كلّ سماءٍ تتفطر فوقَ التي تليها [50].

***   ****   ***

[50]- وللعلماء في سبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية وجهان كلاهما يدلُّ له قرانٌ:

الوجه الأول: أنّ المعنى خوفاً من الله تعالى وهيبة {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} ويدلُّ لهذا الوجه قوله تعالى قبله {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} لأنّ علوَّه عزّوجل وعظمته سَبَّبَ للسماواتِ ذلك الخوف والهيبة والإجلال حتّى كادتْ تتفطّروعلى هذا الوجه فقوله بعده مناسبتُه لما قبله {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} لأنّ المعنى أنّ السماواتِ في غايةِ الخوفِ منه تعالى والهيبةِ والإجلال له وكذلك سكّانها من الملائكةِ فهم يسبّحون بحمد ربهم أي يتزّهونه عن كلِّ ما لا يليقُ بكماله وجلاله مع إثباتهم له كُلَّ كمالٍ وجلالٍ خوفاً منه وهيبةً وإجلالاً.

الوجه الثاني : أن المعنى من شدّةِ عِظَمِ الفريةِ التي افتراها الكفّارعلى خالق السماوات والأرض جلا {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} من كونه اتّخذَ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وهذا الوجهُ جاءَ موضَّحاً في قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا *لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا *تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا *أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا *وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا *إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا } مريم: 88. 93.

وغايةُ ما في هذا الوجه أنَّ ايةَ الشورى هذه فيها إجمالٌ في سبب تفطّر السماوات وقد جاءَ ذلك موضَّحاً في اية مريمَ المذكورة وعليه فمناسبة قوله تعالى لما قبله أنّ الكفار وإن قالوا أعظمَ الكفرِ {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} فإنَّ الملائكة بخلافهم فإنّهم يداومون على ذكرِالله وطاعته كما قال تعالى: {فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِوَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ} فصلت: (38).

وكلا الوجهينِ المذكورينِ حقٌ غير أنَّ الوجه الأول هو المقصودُ هنا فمنه يتبيّن حالُ الملائكةِ في تسبيحهم لله تعالى أنّهم لشدة خوفهم من الله وهيبتهم وإجلالهم له يسبّحون بحمده على الدوام بلا انقطاع وقوله تعالى في هذه الاية الكريمة لخصوصِ الذين امنوا {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} كما أوضحه الله بقوله تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} وقوله تعالى في ختام الاية أكّدَ فيه أنّه هو وحدَه المختصّ بغفران {أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} و إيجادِ الرحمات، وذلك بذكرِ حرف الاستفتاح (ألا) وحرف التوكيد (إن) المقتفين للتوكيد وضمير الفصل (هو) المقتفي للحصر، وبجميع ما سبقَ ذِكْرُه في هذا المطلبِ من الايات والأحاديث والاثار يتجلّى مقامُ الملائكة في التسبيح، وأنّهم في هذه العبادة العظيمة متميّزون عن غيرهم من العالمين (تسبيح الملائكة لله تعالى – الحلقة الخامسة – الموقع الرسمي للدكتورعلي محمد الصلابي) .

المطلب الثالث

تسبيح الرسل عليهم السلام لله تعالى

لقد كان الأنبياء عليهم السلام من أحرص الناس على عبادة التسبيح؛ فهم يسبحون ربهم كثيرًا، ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءً، بل ويوصون بذلك، وما كان ذلك إلا لعظيم فضل التسبيح وأهميته، وقد ذكر لنا كتاب ربنا شيئًا من ذلك عن بعض الأنبياء، وذكر لنا أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم شيئًا من ذلك عنه صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما يأتي[51] :

1- تسبيح النبي صلى الله عليه وسلم : فقد الله بالتسبيح في آيات كثيرة منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: 55]، وقال سبحانه: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه: 130].

وقال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 97 - 99].

وقد أمر الله تعالى به في الشدائد قال تعالى : (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) [ق: 39] وآيات أخرى غيرها.

ففي هذه الآية أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار فيه دليل على أن التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به [52].

لقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فكان صلى الله عليه وسلم يُكثر من التسبيح، صباحًا ومساءً، وفي صلاته يقول: (سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم)، ويسبح عند نومه صلى الله عليه وسلم، لقد كان حريصًا على تلك العبادة العظيمة. ويدل على ذلك عدد من الأحاديث ، منها :

1- **عن عائشة رضي الله عنها قالت:** (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِر أن يقول قبل أن يموت: **سبحانك وبحمدك، أستغفرك و أتوب إليك**، قالت: قلتُ: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتَها تقولُها؟ قال: **جُعلت لي علامةٌ في أمتي إذا رأيتُها قلتُها**: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ النصر: 1] إلى آخر السورة) رواه مسلم .

51- التسبيح في حياة النبي صلى الله عليه وسلم - أبو حاتم سعيد القاضي – شبكة الألوكة .

52- أضواء البيان – للعلامة الشنقيطي – (432/7) .

2- عنها رضي الله عنها قالت: **(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك)** أخرجه أبو داود والترمذي.

3- **وعن حذيفة رضي الله عنه** قال: صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلتُ: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يُصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، **ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسِّلاً**، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: **(سبحان ربي العظيم)**، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: **(سمع الله لمن حمده)**، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد، فقال: **(سبحان ربي الأعلى)**، فكان سجوده قريبًا من قيامه، رواه مسلم. قال: وفي حديث جرير من الزيادة، فقال: **(سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد)**.

4- وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأخَرَة إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك و أتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى، فقال: كفارة لِما يكون في المجلس)** أخرجه أحمد وأبو داود.

5- **وقال ربيعة بن كعب رضي الله عنه**: (كنتُ أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا دخل بيته؛ أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةٌ، فما أزال أسمعه يقول صلى الله عليه وسلم: **سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده**، حتى أملَّ فأرجع، أو تغلبني عيني فأرقد).[53]

*** **** ***

2- تسبيح نوح عليه السلام : كان في وصية نوح لابنه الحرص على "سبحان الله وبحمده"؛ فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن نبيَّ الله نوحًا صلى الله**

53- هذا جزء من الحديث وتمامه قال: فقال لي يومًا لِما يرى من خِفَّتي له وخدمتي إياه: سلْني يا ربيعةُ، أُعْطِكَ، قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله، ثم أعلِمك ذلك، قال: ففكَّرتُ في نفسي فعرفتُ أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي فيها رزقًا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت: أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي؛ فإنه من الله عزوجل بالمنزل الذي هو به، قال: فجئت، فقال: ما فعلتَ يا ربيعة؟ قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك، فيعتقني من النار، وفي رواية: أسألك مر افقتَك في الجنة، قال: فقال: من أمرك بهذا يا ربيعة؟ قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق، ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: سلني أُعْطِكَ، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقًا سيأتيني، فقلت: أسأل رسول صلى الله عليه وسلم لآخرتي، قال: فَصَمَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلًا ثم قال لي: إني فاعل، فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود) سنده حسن: أخرجه أحمد (4/ 59).

عليه وسلم لما حضرته الوفاةُ قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية: آمرُكَ باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كِفَّة، ووُضعت لا إله إلا الله في كِفَّة، رجحت بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كنَّ حلقةً مبهمةً، قصمتهن لا إله إلا الله - وسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر) [54].

3- تسبيح موسى عليه السلام: قال موسى عليه السلام مخاطبًا ربه تبارك وتعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: 29 - 34].

4- تسبيح داود عليه السلام: قال سبحانه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 18، 19].

5- تسبيح زكريا عليه السلام: قال الله تعالى في شأن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: 41]، وقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11].

***   ****   ***

[54]- إسناده صحيح: أخرجه أحمد (2/ 170)، والبخاري في "الأدب المفرد" (548).

المطلب الرابع

تسبيح المؤمنين الله تعالى

كما أشاد الله تعالى بتسبيح الرسل عليهم السلام نوه بتسبيح المؤمنين، وجاء التنويه في عدَّة مواطن في الذكر الحكيم، وهي [55]:

الموطن الأول : يأمر الله عزوجل المؤمنين بتسبيحه، كما في قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا 41وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}** [الأحزاب: 41، 42].

وفي الموطن الثاني يَقرِن الله - عزوجل - تسبيح مَن آمَن به بالدعـاء، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩١].

وفي الموطن الثالث يَقرِن الله - عزوجل - تسبيح من آمن به بحمده، كما في قوله سبحانه وتعالى : **{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}** [السجدة: 15].

وفي الموطن الرابع يحكي القران قصة أصحاب الجنة، كما في قوله سبحانه وتعالى : **{قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}** [القلم: 28، 29].

ويعلِّق ابن عاشور على الآية فيقول: «والاستفهام تقريري و (لولا) حرف تحضيض، والمراد بـ (تسبِّحون): تنزيه الله عن أن يُعصى أمْره في شأن إعطاء زكاة ثمارهم. وكان جوابهم يتضمن إقراراً بأنه وَعَظَهم فعصوه، ودلُّوا على ذلك بالتسبيح حين نَدَمِهم على عدم الأخذ بنصيحته فقالوا: {سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} أرادوا إجابة تقريره بإقرار بتسبيح الله عن أن يُعصى أمْره في إعطاء حق المساكين؛ فإنَّ مِن أصول التوبة تدارُك ما يُمكن تداركه، واعترافهم بظلم المساكين من أصول التوبة؛ لأنه خبرٌ مستعمل في التندم .

والتسبيح مقدِّمة الاستغفار من الذنب، قال تعالى: **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}** [النصر: ٣]، وجملة **{إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}** إقراراً بالذنب، والتأكيد لتحقيق الإقرار والاهتمام به .

وفي الموطن الخامس يذكر الله - عزوجل - تسبيح المؤمنين في سياق إفاضة النِّعم على عباده، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: **{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}** [الزخرف: 13] .

55- مقال : تسبيح المؤمنين في ضوء القرآن الكريم - للاستاذ حمزة شواهنة – مجلة البيان .

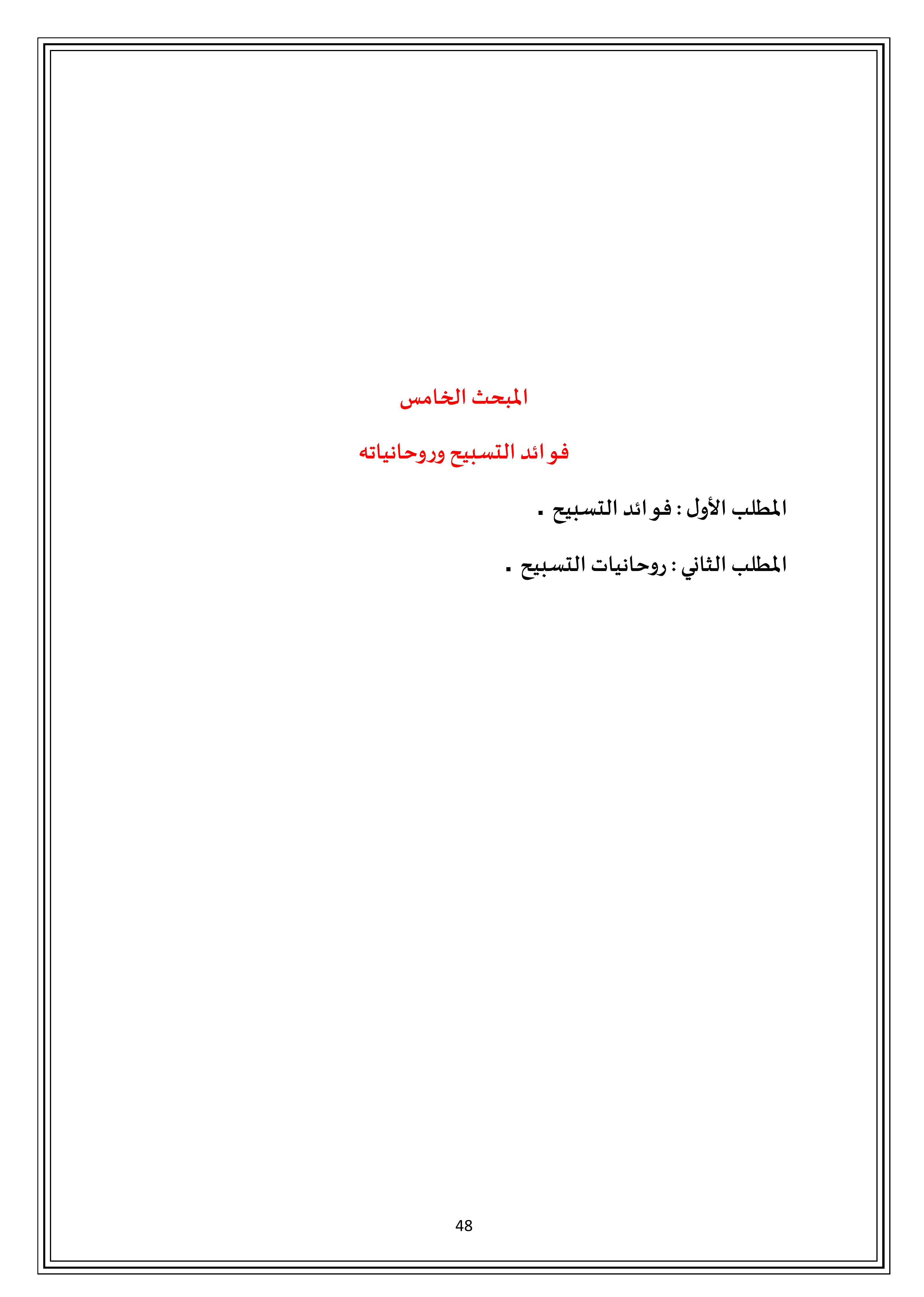
وفي الموطن السادس ينوّه الله عزوجل بتسبيح المؤمنين مِن أهل الجنة، فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس: 10] فهنيئا لمن أكثر من التسبيح في الدنيا ووجد لذة فيه، وفرحا به، فإنه حري أن يتلذذ بالتسبيح في الجنة كما تلذذ به في الدنيا. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن أهل الجنة يلهمون التسبيح، وأنهم يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا.

وفي الموطن السابع يمدَح الله - عزوجل - المؤمنين لتسبيحهم لذاته العلية، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: {**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**} [النور: 36]. **والمراد بقوله: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}** [النور: 36] : أي يصلي له في هذه البيوت بالغُدُوات والعشيات رجال، ويطلق على الصلاة تسبيحاً في القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيراً؛ فالصلاة تنزيه فعلي كما أنَّ التسبيح باللسان تنزيه قولي.

ويشير القرآن الكريم إلى عظمة عبادة التسبيح، فيبيّن أنَّ مِن حِكَم إرسال النبي محمد صلى الله عليه وسلم القيام بتسبيح الله - عز وجل - وتنزيهه مع المؤمنين، كما في قوله - سبحانه وتعالى -: {**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**} [الفتح: ٨، ٩].

وقد جاء في آيات عدة، منها قوله تعالى (**وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**) الإسراء: (108) . وحكى الله تعالى عنهم (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) سورة آل عمران (191) .

***　　　****　　　***



المبحث الخامس

فوائد التسبيح وروحانياته

المطلب الأول : فوائد التسبيح .

المطلب الثاني : روحانيات التسبيح .

المطلب الأول

فوائد التسبيح

إن المتأمل في الآيات التي ورد فيها التسبيح في كتاب الله عزوجل يعلم - بلا ريب - مدى عظم هذه العبادة الجليلة، وعظم فوائدها التي تعود على العبد المؤمن في الدنيا والآخرة،

فالتسبيح سبب في الفرج وإزالة الكرب وزوال الغمة. وفيه راحة للنفس وسكينة وطمأنينة. وفيه تعظيم للخالق جلّ وعلا، وزيادة الصلة ما بين العبد وربه. وفيه زيادة في الأجر في الدنيا والآخرة، والحسنة بعشرة أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

والإكثار من التسبيح حتى تصبح عادة يوميّة سبب من أسباب مغفرة الخطايا والذنوب ولو كانت مثل زبد البحر. ونذكر فيما يأتي بعض هذه الفوائد[56] :

أولاً: التسبيح من أعظم العبادات وأجل القربات إلى الله عزوجل :

فهو عبادة الملائكة المكرمين؛ بل هو عبادة المخلوقات جميعًا، (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء: ٤٤] [57].

ولقد ذكر الله عز وجل أنه أرسل رسوله ليقوم الناس بالإيمان، وليقوموا بتسبيح الله عز وجل، قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفتح: ٨ - ٩].

56- التسبيح – موقع التفسير الموضوعي – بتصرف .

57- قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : قال بعض السلف : إن صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ، وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة أول سورة الحج ، وقال آخرون إنما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان أو نبات ، وقال قتادة في قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال : كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن ، والضحاك في قوله : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قالا : كل شيء فيه الروح .

وبهذا فإن العبد المؤمن يجتهد في تسبيح ربه عز وجل؛ في الليل والنهار، وفي السر والعلن، في الشدة والرخاء، مبتغيًا رضا الرحمن، مقتديًا بالملائكة الأطهار، راجيًا الأجر الجزيل والثواب العظيم من الله رب العالمين، سبحانه وتعالى.(وقد سبق هذا المعنى قريباً) .

*** **** ***

ثانيًا : الفوز بثناء الله عز وجل :

إذ إن الله عز وجل قد أثنى في كتابه العزيز على عباده المسبحين، فقال سبحانه: **(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** [النور: ٣٦ - ٣٨].

قال السعدي رحمه الله : **(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ)** وهي المساجد. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة فقال: **(يُسَبِّحُ لَهُ)** إخلاصا **(بِالْغُدُوِّ)** أول النهار **(وَالْآصَالِ)** آخره خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء. **(رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ)** أي: يسبح فيها الله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على **(ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ)** بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه.

*** **** ***

ثالثًا: التسبيح عون على الصبر، وسبب لزوال الكرب وضيق الصدر:

ولهذا أمر الله عز وجل به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم في كثير من المواضع في القرآن الكريم؛ ليكون له فيه العون على الصبر، والفرج من الكرب، من ذلك قوله تعالى: **(فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ)** [طه: ١٣٠].

لاحظ كيف استوعب التسبيح سائر اليوم ، قبل الشروق وقبل الغروب و آناء الليل وأول النهار وآخره،ماذا بقي من اليوم لم تشمله هذه الآية بالحثّ على التسبيح ؟ والرضا في هذه الآية عام في الدنيا والآخرة [58].

وقوله عز وجل : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

فانظر كيف أرشدت هذه الآية العظيمة إلى الدواء الذي يُستشفى به من ضيق الصدروالترياق الذي تستطبّ به النفوس .

ولقد نجَّى الله عزوجل نبيه يونس عليه السلام من الظلمات بسبب تسبيحه، قال تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصافات: ١٤٣- ١٤٤].

رابعًا : التسبيح من أعظم ما يشكر به العبد ربه عزوجل على عطاياه التي لا تعد ولا تحصى :

قال تعالى: (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) [الزخرف: ١٣].

قال السعدي رحمه الله تعالى : أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها ويسر أسبابها.والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما سبق ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

*** **** ***

58- قال الرازي : قوله تعالى : (لعلك ترضى) ففيه وجوه :

أحدها : أن هذا كما يقول الملك الكبير: يا فلان اشتغل بالخدمة فلعلك تنتفع به ، ويكون المراد إني أوصلك إلى درجة عالية في النعمة ، وهو إشارة إلى قوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : 5] وقوله : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) [الإسراء : 76] .

وثانيها : لعلك ترضى ما تنال من الثواب .

وثالثها : لعلك ترضى ما تنال من الشفاعة . وقرأ الكسائي وعاصم : لعلك ترضى بضم التاء ، والمعنى لا يختلف لأن الله تعالى إذا أرضاه فقد رضيه وإذا رضيه فقد أرضاه .

المطلب الثاني

روحانيات التسبيح

لو تتبعنا روحانيات التسبيح من آيات التسبيح الواردة في القرآن الكريم لاحتجنا إلى كتاب كامل ولكن سأعطي هنا نموذجا من آية واحدة في هذا المطلب ، وهي قوله تعالى :

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) سورة آل عمران (191) .

فمن روحانيات التسبيح : **قول (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض** [59] : كما قال تعالى : **(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا)** الذي نراه من العوالم السماوية ، والأرضية **(بَاطِلًا)** ولا أبدعته ، وأتقنته عبثا ، **(سُبْحَانَكَ)** وتنزيها لك عن الباطل ، والعبث بل كل خلقك حق مؤيد بالحكم ، فهو لا يبطل ولا يزول ، وإن عرض له التحول والتحليل والأفول ، ونحن بعض خلقك لم نخلق عبثا ، ولا يكون وجودنا من كل وجه باطلا ، فإن فنيت أجسادنا ، وتفرقت أجزاؤنا بعد مفارقة أرواحنا لأبداننا ، فإنما يهلك منا كوننا الفاسد ، ووجهنا الممكن الحادث ، ويبقى وجهك الكريم ، ومتعلق علمك القديم [60] .

ومن روحانيات التسبيح :أيضا قول المؤمنين (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض:

هذا إقرار بعجز العقول عن الإحاطة بآثار حكمة الله في خلق السماوات والأرض ، يعني : **أن الخلق إذا تفكروا في هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها إلا هذا القدر ، وهو أن خالقها ما خلقها باطلا ، بل خلقها لِحِكَمٍ عجيبةٍ ، وأسرارٍ عظيمةٍ ، وإن كانت العقول قاصرةً عن معرفتها .**

59- التفكر في السماوات والأرض له ثلاث درجات بعضها أعلى من بعض، أدناها أن ننظر إلى السماء وما فيها من نجوم وكواكب وشمس وقمر و أبراج وما فيها من نظام بديع محكم ، وهذه هي النظرة العامة التي تكون لذوي الألباب وغيرهم؛ لأن هذه النظرة أساس الحس وإشراق المحسوس.

والمرتبة الثانية : التفكر في خلقها وأسرار وجودها ونواميسها وقوانينها، وهذا ما يفكر فيه علماء الكونيات الذين يعرفون ما اشتمل عليه الكون من قوى وما أودعها الخالق من أجرام وقوانين لسيرها.

المرتبة الثالثة : وهي أعلاها، وهي النظرة التي تتجه إلى الخالق من وراء المخلوق، فيتدبر الكون وما فيه ليدرك عظمة المبدع، فيتعرف من جمال الصنعة على جلال الصانع، وهذا النوع هو المذكور في هذه الآية وهو أعلى مراتب العبادة . (زهرة التفاسير – للشيخ محمد أبو زهرة) .

60- تفسير المنار.

والمقصود منه تعليم الله عباده كيفية الدعاء ، وذلك أن من أراد الدعاء فلا بد وأن يقدم الثناء ، ثم يذكر بعده الدعاء كما في هذه الآية [61].

*** **** ***

ومن روحانيات التسبيح : قول المؤمنين (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض :

لما تفكروا في مخلوقاته سبحانه ولا سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والأرض ، وما عليها من البحار والجبال والمعادن ، عرفوا أن لها ربا وصانعا فقالوا : ربنا ثم لما اعترفوا في أن في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا تحيط بتفاصيلها الأفكار قالوا : **ما خلقت هذا باطلا** ثم لما تأملوا وقاسوا أحوال هذه المصنوعات إلى صانعها رأوا أنه لا بد وأن يكون الصانع منزها عن مشابهة شيء منها ، فإذن هو ليس بجسم ولا عرض ولا في حيز ولا بمفتقر (ولا ولا ...) فقالوا : **سبحانك** أي تنزيها لك مما لا يليق بك. **ثم لما استغرقوا في بحار العظمة والجلال وبلغوا هذا المبلغ الأعظم وتحققوا أن من قدر على ما ذكر من الإنشاء بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتحيه و اتصف بالقدرة الشاملة والحكمة الكاملة كان على إعادة من نطقت الكتب السماوية بإعادته أقدر.**

وإن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم القلبية والقالبية طلبوا النجاة مما يحيق بالمقصرين ويليق بالمخلين فقالوا : **فقنا عذاب النار** [62] .

ومن روحانيات التسبيح : أيضا قول المؤمنين (سبحانك) عند التفكر في خلق السموات والأرض:

التفكر يجعل القلب يخضع واللسان يخشع فينطق مستشعرا عظمة الله قائلا: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تلك الضراعة التي بدت على الألسنة هي أولى ثمرات التفكر.

لقد وصلوا بتفكرهم إلى إدراك ربهم فقالوا **(ربنا)** ونادوه- سبحانه- بذلك النداء الخاضع الضارع الشاكر لنعمائه، وقد وصلوا بتفكيرهم وتدبرهم إلى أن هذا الكون لا يمكن أن يخلق باطلا، أي: لا يكون لغير غاية، ولا لغير حكمة، فمعنى البطلان هنا العبث وعدم الغاية وإنهم ليعلمون أن ذلك مستحيل على الله تعالى.

ولذا أردفوا هذا بقولهم: **سبحانك**، أي: تنزهت ذاتك وتقدست، وبذلك ارتفعوا إلى مقام التقديس وهو كمال العبودية والألوهية، ثم اعترتهم وقد وصلوا إلى هذا النوع من العلم خشية العلماء، مصداقا لقوله تعالى: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** [فاطر:28].

61- تفسير الرازي .

62- تفسير الآلوسي .

ولذلك غلب عليهم الخوف من عذاب الله تعالى فقالوا مرتبين على تفكرهم ما أدى إليه : (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)فهذه ضراعة إلى الله تعالى أن يقيهم عذاب النار، والوقاية من عذاب النار تكون بأمرين: أولهما - أن يوفقهم لتجنب ما لا يرضيه، والثاني - أن يغفر لهم ما أفرطوا في جنبه سبحانه وتعالى.

وقد كان ترتيب الخوف على التفكر له موضعه؛ لأن نهاية التفكر هو الخوف، إذ ينتهي إلى أعلى درجات الشعور بالمهابة لله تعالى، وهو يجعل المؤمن يستصغر حسناته، ويستكثر سيئاته، وإن الصوفية الحق يبالغون في التفكر، حتى إنهم يفضلونه على صلوات النفل فهو من أفضل مقامات العبودية.

***   ****   ***

ومن روحانيات معرفة (سبحان ربي العظيم) أن تسحضر أن من معاني العظيم :

أنه هو الذي يعظِّمه خلقُه ويهابونه ويتقونه، فله سبحانه وتعالى صفة العظمة في كل شيء، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أفعاله، عظيم في صفاته وكل كائن دونه سبحانه وتعالى فصغير، فلو ملأت قلبك بهذه المعاني فإنها تحفظك أن تخاف مما سواه سبحانه، ولِمَ تخاف وليس في الكون عظيم غيره؟ فلا يعظم أحد مثله فهو وحده ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه.

ومن روحانيات هذا التسبيح : أن فيه إعلان الخضوع لله بكل معانيه؛ بوضع الجبهة والوجه (أشرف ما لدى الإنسان) على الأرض، وكذلك استحضار تنزيه الله عزوجل عن السفول، و أنه سبحانه عليٌّ فوق مخلوقاته، ومنزه عن الوساوس التي يوحيها الشيطان بأن الله حلَّ في الأشياء سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، مع اعتقاد أنه أقرب للعبد من كل شيء، فهو سبحانه عليٌّ في دنوّه، قريب في علوِه، ولهذا شرع التسبيح في كل منخفض، كما شرع التكبير على كل مرتفع.

ومن روحانياته : ما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى : " إذا ذل العبد لربه بالركوع والسجود ، وصف ربه بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو ، فكأنه يقول : الذل والتواضع وصفي ، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ، فلهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول : " **سبحان ربي العظيم " وفي سجوده : سبحان ربي الأعلى "** . **كان صلى الله عليه وسلم أحيانا يقول في ركوعه وسجوده : سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** "[63] انتهى .

63- الخشوع في الصلاة - للشيخ وهف القحطاني - (ص41-43) والمُجلِّــي عن روحانيات المصلِّي – الفصل التاسع.– بتصرف .

ومن روحانيات معرفة (العظيم) : أن تستحضر ما قاله الأصفهاني: "العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظِّم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس مَن يعظَّم لماله، ومنهم من يعظم لفضله وجميل صفاته ، ومنهم مَن يعظَّم لعلمه وذكائه ،ومنهم مَن يعظم لسلطانه ، ومنهم من يعظم لجاهه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى؛ أما الله عزوجل فيعظم في الأحوال كلها".

*** **** ***

المبحث السادس

الأوقات والمواطن التي يستحب فيها التسبيح

ورد في السنة النبوية الحث على التسبيح في أوقات مخصوصة [64] :

1/ التسبيح خلال اليوم مائة مرة : عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**) رواه البخاري ومسلم .

2/ التسبيح في أذكار الصباح والمساء سبحان الله وبحمده : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**) [رواه مسلم: 2692] .

3/ التسبيح عند استفتاح الصلاة :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ ، قَالَ : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ) [65]

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : **اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا،** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**) قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: (**عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**) قَالَ ابْنُ عُمَرَ: (**فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ**) رواه مسلم .

4/ التسبيح في الركوع والسجود : وفيه روايات متعددة :

- **من الصيغ التي جاءت في الركوع والسجود ما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:** (**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْلِي**) [رواه البخاري: 794، ومسلم: 484].

64- ملخص من كتاب (17) فضيلة من فضائل سبحان الله العظيم وبحمده – موقع صيد الفوائد – ومقال : صيغ التسبيح - الشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل – شبكة الألوكة الشرعية – بتصرف .

65- رواه أبو داود والترمذي وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في " صحيح الجامع " .

- سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ في الركوع والسجود : مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) [رواه مسلم: 485].
- سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ يقال في قيام الليل في الركوع والسجود : ورد في الركوع أيضا حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل قال في ركوعه : (سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ) [رواه أبو داود: 873].
- سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ يقال في الركوع والسجود : كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) [رواه مسلم: 487]. ومعناه: مسبح مقدس رب الملائكة والروح.

5/ التسبيح من أذكار صلاة الْوِتْرِ قول سبحان الملك القدوس: عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا سَلَّمَ فِي الْوِتْرِ، قَالَ: (سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) [رواه أبو داود: 1430] . وفي حديث عبدالرحمن بن أبزى (يقولها ثلاثا) [رواه أحمد: 15354].

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كان يقولها عشرا قبل شروعه في صلاة الليل). [رواه أبو داود: 5085].

*** **** ***

6/ التسبيح عند القيام من المجلس : لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من قال : "سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك و أتوب إليك" . فقالها في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له) قال الألباني في صحيح الترغيب : صحيح لغيره – برقم (1519) .

7/ التسبيح عند ختام العمر بقول سبحان الله وبحمده أستغفر الله و أتوب إليه : عن عائشة رضي الله عنها قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله و أتوب إليه. قالت فقلت : يا رسول الله ! أراك تكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ؟ فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي . فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله و أتوب إليه . فقد رأيتها . إذا جاء نصر الله والفتح . فتح مكة . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) رواه مسلم.

تبين من هذا أنها صيغة مأمورها في القرآن في عدد من الآيات ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: 58] وهو تسبيح الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30] وأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يختم حياته بالإكثار منها، فيا لها من صيغة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النَّصر: 3].

8/ التسبيح عند رؤية ما يتعجب منه : وردت في ذلك عددا من الأحاديث النبوية [66] :

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ. فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: (أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ).

وروى مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟) قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (سُبْحَانَ اللهِ! لَا تُطِيقُهُ -أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ".

وتعلَّم الصحابة هذه السُّنَّة فكانوا يُسَبِّحون اللهَ إذا رأوا شيئًا عجيبًا؛ فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ)، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ. فَقَالَ: (فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ). وَمَا هُمَا ثَمَّ، (وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي)، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ. قَالَ: (فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ). وَمَا هُمَا ثَمَّ.

9/ التسبيح عند قراءة الآيات التي ورد فيها ذكر التسبيح : كقول الله تعالى : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: 74]. فيقول القارئ لها : سبحان ربي العظيم . وقوله تعالى : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [الأعلى: 1]. فيقول القارئ لها : سبحان ربي الأعلى .

66- نقلا عن مقال : سُنَّة التسبيح عند التعجب – دكتور راغب السرجاني – موقع طريق الإسلام .

وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) [غافر:7] .

وقوله تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [الإسراء:44]، ونحوها .ودليل ذلك ما ورد عن حذيفة رضي الله عنه في وصف قيام النبي عليه الصلاة والسلام وقد صلى معه، قال: (يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّبِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّبِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّبِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) (رواه مسلم:772) .

والوقوف عند آيات التسبيح والسؤال والتعوذ للامتثال مما يجعل المؤمن من الذاكرين، فيبتعد عن النفاق، فليحرص عليه قارئ القرآن [67].

*** **** ***

67- قال ابن عثيمين رحمه الله : لأن ذلك أحضر للقلب و أبلغ في التدبر ، وصلاة الليل يسن فيها التطويل، وكثرة القراءة والركوع والسجود، وما أشبه ذلك، وأما في صلاة الفرض فليس بسنة وإن كان جائزًا.. الدليل على هذا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي في كل يوم وليلة ثلاث صلوات، كلها جهر فيها بالقراءة، ويقرأ آيات فيها وعيد و آيات فيها رحمة، ولم ينقل الصحابة الذين نقلوا صفة صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ذلك في الفرض، ولوكان سنة لفعله ولو فعله لنقل، فلما لم ينقل علمنا أنه لم يفعله، ولما لم يفعله علمنا أنه ليس بسنة، والصحابة رضي الله عنهم حريصون على تتبع حركات النبي صلى الله عليه وسلم وسكناته حتى إنهم كانوا يستدلون على قراءته في السرية باضطراب لحيته، ولما سكت بين التكبير والقراءة سأله أبو هريرة ماذا يقول؟ ولو كان يسكت عند آية الوعيد من أجل أن يتعوذ، أو آية الرحمة من أجل أن يسأل لنقلوا ذلك بلا شك" (الشرح الممتع:289/3-290). نقلا عن مقال مسائل في الدعاء القر آني - (9) المرور بآيات التسبيح والسؤال والتعوذ - إبراهيم بن محمد الحقيل - موقع طيق الإسلام .

المبحث السابع

قصص و اقعية في أثر الإكثار من التسبيح في تفريج الهموم

القصة الأولى : فتاة تحكي تفريج همهما بسبب الإكثار من التسبيح :

تقول هذه الفتاة : بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. أحكي لكم ما حصل معي في رمضان كنت أصلي التراويح في العشر الاواخر في المسجد فقرأ الإمام قول الله تعالى: **(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)** طه (130) .

فاستوقفني قوله " لعلك ترضى " كأني لأول مرة أسمعها .. فقلت في نفسي قرأت قديما أن (لعلَّ) من الله واجبة اوجبها على نفسه تكرُّما منه على عباده ، إذن إن طبقت مافي الآية سيرضيني حتما .. وبعد الفراغ من الصلاة جلست اتأمل الآية فقلت هذه أوقات ذكرها الله تعالى أسبح فيها بحمده " سبحان الله وبحمده " .. وأنا معتادة أن أقول " سبحان الله وبحمده 100 مرة في وقتين ، بعد الفجر وبعد العصر ، لعلي أدخل في قول النبي عليه الصلاة والسلام : (**من قال ، حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده ، مائة مرة ، لم يأت أحد ، يوم القيامة ، بأفضل مما جاء به . إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**) رواه مسلم 0

بقي : - أناء الليل وأطراف النهار .فقلت الان بعد الصلاة سأسبحه تعالى 100 مرة ثم اتفرغ لقراءة القران وأطراف النهار سأحرص على تسبيحه بعد طلوع الشمس ووقت الظهيرة .

وقد كانت لي معاملة متعطلة في احد الدوائر الحكومية منذ أكثر من سنة ونصف .. وفقدت الامل فيها .. ولكن سبحان الذي أهلمني كانت حاجتي اليها في شوال اشد .. ولم تخطر المعاملة ببالي وقت تطبيق الاية .. لأني كما أسلفت فقدت الامل في إنجازها .. وكل الذي في بالي قول الله تعالى " لعلك ترضى "

كان الوقت ليلا بعد التراويح سبحت الله وبعد الفجر وطلوع الشمس والظهيرة وعند الساعة الثانية والنصف ظهرا جاءني أحد محارمي ليبشرني بإنجاز المعاملة في عشر دقائق وبصورة غير متوقعة حيث لم يحصل لاحد مثلها من قبل !!! فخررت لله ساجدة مسبحة شاكرة .. وشعرت بالندم على تقصيري في حق كتاب الله تعالى تلاوة وحفظا وتدبرا .. والحمد لله رب العالمين ..

*** **** ***

القصة الثانية : شاب يحكي قصة شفائه من السحر ببركة الإكثار من التسبيح :

يقول هذا الشاب : كنت في بدايه التسعينات تعرضت الي خمسة من الأسحار من فتاة كنت أعرفها هي ووالدتها الساحره والمشعوذه..فلم أكن اعرف ما هو السحر ولا اعرف ما اعراضه وما هي سلبياته..ولم اكن اعرف أنه يسبب الكثير من المشاكل مع من حولك ويصبح عندي فتور بالعباده ونفور من كل الناس وتبقي الفتاة الساحره وحدها في عقلك وروحك وجسدك..فبقيت 4 سنوات من المعاناه وتحصل معي أشياء غريبه جدا...أنتبهت وبدأت ابحث..وألجأ الي المسجد والجلوس بعد الصلاة لسماع الدروس..وكان هناك درس يركز علي ذكر الله..وهو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم...لأنهما ...كلمتان خفيفتان علي اللسان وثقيلتان في الميزان وحبيبتان الي الرحمن.. ..فمن هنا بدأت ونويت أن اتخلص من العارض الذين عندي ..وخلال ذلك كانت ما تزال علاقتي مع هؤلاء الجيران.الفتاة وأمها الساحره..ولجأت الي ذلك الذكر..أخذت أذكره في كل خطوة ..وفي كل مكان ..وفي جميع الاوقات..لا اكتفي بالمئات..بل بالألاف..

وكنت كلما ذكرت ذلك الذكر اتألم قليلا..ولكن بدأت علاقتي تتراجع مع تلك الفتاة وأمها..ومع الأيام ..أصبت بحاله حزن ووحده.. ورغبه قوية للجلوس بين يدي الله في قيام الليل..وأخذت أقيم الليل و أبكي وأستعين بالله ليخلصني مما انا فيه..

وبعد شهر ونصف من بدايتي في الألتزام بالذكر..وبفضل الله وقيام الليل تخلصت من التفكير في تلك الفتاة ..والذي حصل معي هو ..أنني بالألتزام بهذا الذكر وبكثرة..توقف مفعول السحر وتوقفت مضايقات العارض وبدأت أعود الي صوابي وكنت كلما ذكرت ذلك الذكر وقرأت القرأن..أأشم رائحه شيئ يحترق داخل جسدي..والحمد لله أصبحت أري الحياة جميله بعد ان كنت في قفص وسجن السحر..وبدأت رحلتي بالتعلم لأنقذ الناس الذين عانوا ما كنت اعانيه وعزمت علي أن اطلب من الله العلم والقدره علي مساعده الناس وتخليصهم من مرضهم ومشاكلهم وشفائهم وتخليصهم من الاسحار.. والحمد لله..

ربي اكرمني بهذا العلم...وأجتهدت وسهرت الليالي وقرأت الكتب وبحثت مع أهل العلم حتي يفتح علي ربي باب من ابواب العلم لأخدم به أمة محمد صلى الله عليه وسلم..

ولمن يريد أن يعرف كيف كانت طريقة ذكري ودعائي حتي تتعلموها مني أنا اخوكم الصغير والمحب لكم..

الطريقه كانت كالتالي : بعد ذكر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .. عشرات المرات .. كنت ادعي الله اللهم أني أسألك بأسمك العظيم الأعظم وأسألك باسمك الطاهر وأسألك بسر

حبك لهاتين الكلمتين وأسألك بسر ثقلهما في الميزان وأسألك بسر خفتهما على اللسان يا رحمن..أسألك اللهم أن تخلصني مما انا فيه..وتخرج من جسدي كل شيطان رجيم وكل معتدي أثيم..والحمد لله أولا وأخرا..و أنتهت مشكلتي وتخلصت من خمسة أسحاركادت ان تدمرحياتي.

***   ****   ***

القصة الثالثة : فتاة تحكي كيف تحققت أمنياتها بسبب الإكثارمن التسبيح :

تحكي قائلة : عن نفسي اذا سبحت احاول اعيش جو ا روحانيا يعني ارمي همومي و افوض اصلاحها وحملها الى الله .. واجلس امدح و اثني عليه عزوجل ، من المو اقف التي حصلت معي كثيرة منها :

1/ كنت راجعة من السوق ومررنا بجوار" نكتار" كنت وقتها لا استطيع شراء شيء من المحل .. مع اني اتمنى ذلك ، ولكن المبلغ الذي معي انتهى .. ولكني لما نظرت للمحل .. و انا اعلم بعجزي عن الشراء فوضت امري لله وظللت اردد " سبحان الله وبحمده " .. والله ثم والله بعد يومين .. تأتي جارتنا في البيت القديم زيارة لنا وتهدي امي طقم نكتار.. وامي كبيرة في السبعين لا تستخدمه .. فصارمن نصيبي .

2/ ذهبنا قبل ايام لمستوصف اسنان من اجل الوالدة .. وتأخرنا فيه ولم ننجز شيئا !!! وبعد يومين الهمني ربي ترديد " سبحان الله وبحمده " والله ذهبنا للمستوصف الاخرودخلنا اول ناس .. ومباشرة بدأنا العمل .. وتسهل كل شيء بإذن ربي ..

***   ****   ***

الخاتمة

قصيدتان في تسبيح الله تعالى

قال الشاعر سامي أحمد الموصلي : تسبيح الجمال لله [68]:

سبحان من خلق الجمال فأبدعا   في كل شيء من كمال جمعا
والله يخلق كل شيء دقة   نظما بديعا بالجمال ملفعا
فالبحر فيه هدوء نوم غارق   حتى اذا قد صار موجا جعجعا
وجبال ارض للسماء ترفعت   حتى السحاب بأنفها قد تلسعا
وخضار لون الارض لون تدله   في العين تسكرها المناظر شعشعا
والعرس في شمس تضيء عروسها   ارضا بلون ضيائها قد اوسعا
ويجيء ليل بالظلام نسيجه   فإذا ببدر النور يبدو أبدعا
واذا تقاطر ماء أمطار غدت   تسبيحها في كل قطر أنصعا
واذا تناثر بعض ثلج فوقها   كانت عروسا في زفاف برقعا
هذي المناظر قد نسجن جمالها   فوق الجبال كقطن ثوب مدرعا
وكواكب في الليل تلمع نورها   متوزع عبر الفضاء مرصعا
واذا نظرت الى النبات كأنه   فرش دقيق النسج ليس مرقعا
وحفيف اوراق على اشجارها   همسات حب في هيام رتعا
واذا نظرت لصفق ماء بعضه   بعضا تدافع في سباق مسرعا
رقراق صوت في تسابيح بدا   لحنا بديعا بالأمان توزعا
أما طيور الجو في عمق الفضا   رسمت خرائط دربها رسما وعى
هذا يمينا باتجاه الريح في   صفق لأجنحة غدت كالاشرعا

68- موقع رابطة أدباء الشام وموقع شبكة الألوكة (حذفت بعض الأبيات) .

وعلى الشمال تسارع في صفقها فإذا أتت وكناتها صاحت معا
بحر الفضاء سباحة في لهوها تعلو وتدنو رقصها هزج الدعا
واذا تغوص بعمق بحر هائج تجد الحياة كأنها زرع رعى
وبكل لون تنوع أسماكها سبحت بعمق البحر وسعا اوسعا
صلى الالـه على النبي وآلـه ما سبحت كل الخلائق أجمعا

ورحم الله القائل :

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي المُنى بخواطرٍ في النَّفْسِ لم يَنْطِقْ بهنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ مَنْ لاشئَ يحجُبُ علمَهُ فالسِّرُّ أجمعُ عندَهُ إعْلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لا يَزَالُ مُسبَّحَاً أبداً وليس لغيرِه السُّبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ تجري قضاياهُ علَى ما شاءَ منها غائبٌ وعِيَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هو لايزالُ ورزقُهُ للعالَمِين به عليه ضَمَانُ
سُبْحَانَ مَنْ في ذكره طُرُقُ الرضى منهُ وفيه الرَّوْحُ والرَّيْحَانُ
ملِكٌ له ظهْرُ القضاءِ وبطنُهُ لَمْ تُبْلِ جِدَّةَ ملكِهِ الازمانُ
يبلى لكل مُسلطٍ سلطانُه واللهُ لايبلى لَـه سُلْطانُ

*** **** ***

اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِه، ما علِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ، وأعوذُ بِكَ منَ الشَّرِّ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِه، ما عَلِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ. اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ من خيرِ ما سألَكَ عبدُكَ ونبيُّكَ، وأعوذُ بِكَ من شرِّ ما عاذَ بِهِ عبدُكَ ونبيُّكَ. اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الجنَّةَ وما قرَّبَ إليها من قَولٍ أو عمل، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عمل، وأسألُكَ أن تجعلَ كلَّ قَضاءٍ قضيتَهُ لِي خيرًا [69] .

تمَّتْ وللهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ

69- رواه ابن ماجه وصححه الألباني.